

البيانات سنوية الثالث

أيّوب الصديق ولماذا كانت تجرّيته؟

2nd Print

Oct. 2000

Cairo

الطبعة الثانية

أكتوبر ٢٠٠٠

القاهرة

المقدمة

كثير من الناس لا يعرفون عن تجربة أيوب الصديق، سوى الإصحاحين الأولين الخاصين بالتجربة، والإصحاح الأخير الخاص بنهايتها، دون قراءة كل السفر والتأمل فيه وهو يشمل ٤٢ إصحاحاً وقد رأينا في هذا الكتاب أن ندخل إلى أعماق السفر كله، في تأمل لما ورد فيه آية آية ..

وقد كان موضعاً لمحاضرة ألقيتها في الإسكندرية في سنة ١٩٦٣ (منذ ٣٥ سنة). ثم محاضرة ألقيتها في القاهرة. ثم كتبت مقالاً عنه في جريدة وطنى سنة ١٩٧٢. وقد شاء الله أن تصدر هذا الكتاب عنه ليشمل كل ما سبق مع إضافات ...

لماذا سمح الله بتجربة أيوب على الرغم من كماله

واستقامته؟

قطعاً ، كان ذلك لفائدته روحياً، لكي يتخلص من حروب

روحية، تتعبه، حتى لو لم يكن يشعر بها .

كان باراً ، يعرف عن نفسه أنه بار . وكان هذا يتعبه .

فلما اتهمه أصحابه بأنه لا بد أن تجربته كان سببها خطاياهم وعقوبة الله له ، حينئذ ثار عليهم أيوب ، وبدأ يدافع عن نفسه . وفي دفاعه وقع في الافتخار ، وفي البر الذاتي . وفي عتاب شديد مع الله !!

أصحاب أيوب الذين أخطأوا في حقه كانوا ثلاثة ، هم أليفاز التيماني ، وبلدد الشوحي ، وصوفر النعماني ، فماذا كانت أخطاؤهم ؟ كان هناك رابع هو "أيهو بن برخثيل البوزي من عشير رام" . وهو الوحيد الذي لم يوبخه الله . فماذا قال ؟ ثم تكلم الله من العاصفة . فماذا قال موبخاً أيوب . هذا ما ستقرأ عنه في هذا الكتاب...

وستقرأ عن كيف انتهت تجربة أيوب . وماذا كانت نتائجها ؟ وكيف أعاد الله البناء الروحي لأيوب ، على أساس من الاسحاق .

” ا “

فِي أَيِّ عَصْرِ

عَاشَ أَيُّوبُ الصِّدِّيقَ

وَمَا مَوْطِنُهُ؟

بَلَد أَيُوب

ورد في أول السفر "كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب
(أى : ١ : ١) . وأنه "كان أعظم بنى المشرق" (أى : ١ : ٣) .

إذن كان أيوب يعيش في بلاد المشرق .

فما هي أرض عوص ، موطنه ؟

نكر اسم (عوص) ونسبه مرتين في سفر التكوين :

١ - قيل إن عوص هو ابن آرام بن سام بن نوح (تك : ١٠ : ٢٢ ،
٢٣) .

٢ - وقيل إن (عوص) هو بكر ناحور (أخى أبينا إبراهيم) من
امراته ملكه (تك : ٢٢ : ٢٠ ، ٢١) .

وإلى إسم عوص هذا انتمت أرض عوص ، سواء كان حفيد سام
بن نوح ، أو كان ابن أخى إبراهيم .

زمن أيوب

قيل إنه عاش في الفترة ما بين نوح وإبراهيم . ولكن لو فحصنا العصر الذي عاش فيه أصحابه : أليفاز التيماني، وبلدد الشوحي، وصوفر النعماني (أنظر ص ٣٦، ٣٧)، لوجدنا أنه عاش بعد عيسو ويعقوب .

وعلى أية الحالات لا بد أنه عاش في عصر الآباء البطارقة الأول، قبل موسى وأخيه هارون .

فما هي الأدلة على ذلك؟ والتي هي نفس الأدلة التي تبرهن على أن سفر أيوب كان أقدم من أسفار موسى الخمسة؟ .. نذكر من هذه الأدلة :



١ - كان أيوب في عصر ما قبل الكهنوت الهاروني .

كان قبل العصر الذي انحصر فيه الكهنوت في بني هارون حسب أمر الرب لعبده موسى (خر ٤٠ : ١٣ - ١٥) (لا ٨٢ : ١٢، ١٣) . ولم يكن أيوب من بني هرون (عد ٣ : ٢ - ٤) (أى ٦ : ٣ - ١٥) بل كان في العصر الذي كان فيه الأب هو كاهن الأسرة :

ذلك أنه كما ورد في الاصحاح الأول من سفره "وكان بنوه يذهبون ويعملون وليمة في بيت كل واحد منهم في يومه .. وكان

لما دارت أيام الوليمة، أن أيوب أرسل فقدسهم، وبكر في الغد وأصعد محرقات على عددهم كلهم. لأن أيوب قال : ربما أخطأ بنى وجدفوا على الله في قلوبهم. هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام" (أى ١ : ٤ ، ٥) .

وهذا هو النظام الذى كان يحدث فى أيام الآباء الأول (الآباء البطارقة، رؤساء الآباء) نوح، وإبراهيم، وإسحق، ويعقوب. أولئك الذين كانوا يقدمون الذبائح عن أنفسهم وعن أبنائهم .

✠ ✠ ✠

ومما يثبت هذا أنه كان يقدم محرقات .

وكان هذا هو ما فعله الآباء الأول ، كانت ذبائحهم كلها محرقات. أما منذ عهد موسى وهارون، فقد وجدت أيضاً أنواع أخرى من الذبائح يقدمها الناس عن خطاياهم، مثل ذبيحة الخطية وذبحة الإثم (لا ٤ ، ٥)، بالإضافة إلى المحرقات، والفصح (خر ١٢)، مع طقوس معينة ...

✠ ✠ ✠

٢ - لم يرد اسم أيوب فى كل قوائم الآباء منذ موسى .

لم يرد اسمه فى كل سلسلة الأنساب التى سجلت نسل الأسباط الإثني عشر، سواء فى سفر العدد (عد ١ - ٤) ولا فى القوائم التى وردت فى السفر الأول لأخبار الأيام (أى ١ - ٩) مما يدل على أنه

قبل ذلك العصر. كما لم يرد فى أية سلسلة أنساب أخرى لذلك
الزمان .



٣ - لم يرد فى سفر أيوب أية إشارة عن تلك العصور .

فعلى الرغم من أن أليفاز التيمانى قال لأيوب "إلى أى القديسين
تلتفت؟" (أى ٥ : ١). وقال له بلدد الشوحى "اسأل القرون الأولى،
وتأكد مباحث آبائهم" (أى ٨ : ٨). وقال له صوفر النعمانى "أما
علمت هذا منذ القديم، منذ وُضع الإنسان على الأرض..؟" (أى ٢٠ :
٤) .. إلا أنه لم يذكر واحد من هؤلاء اسم أحد من قديسى العهد
القديم ليستشهد به .



٤ - كذلك فى الكلام عن عظمة الله، لم يُذكر شئ فى سفر
أيوب عن المعجزات العجيبة التى صنعها الله مع شعبه!!
لم يذكر أى شئ مثلاً عن شق البحر الأحمر، أو عن العجائب
والضربات العشر التى أجراها الله فى مصر، ولا عن ضربية
الصخرة ففجرت ماء، ولا عن المن والسلوى، ولا عن السحابة
التي تظللهم نهاراً، وعمود النار الذى كان يهديهم ليلاً، ولا عن
معجزات الله فى حروبهم مع الأمم الوثنية .



كل ما ذكر في سفر أيوب في اثبات قوة الله، هو قوة الله في الخلق، وفي السيطرة على الطبيعة، وما يخص الحيوانات والطيور العجيبة، و الجبال والسماء وكواكب الصبح.. وما أشبه ذلك.. حتى في حديث الله مع أيوب، أو في حديث أليهو معه، لإقناعه بعظمة العليّ القدير .



حادثة تاريخية واحدة نكرها أيوب وهو يشتهي لو كان قد مات بعد ولادته مباشرة. قال "حينئذ كنت قد نمت مستريحاً، مع ملوك ومشيرى الأرض الذين بنوا أهراماً لأنفسهم" (أى ٣: ١٣، ١٤) . والمعروف أن الأهرامات العظيمة مثل هرم سقارة المدرج، وهرمى دهشور وميدوم، والأهرامات الثلاثة الكبرى كانت فى الفترة من ٣٥٠٠ ق.م.، ٣٠٠٠ سنة ق.م. أى قبل موسى النبى بزمان، هذا الذى قهر فرعون فى الأسرة التاسعة عشرة لقدماء المصريين ..!



٥ - يستدل على عصر أيوب الصديق، من عامل الأعمار فى ذلك الزمان ...

المعروف أنه حينما حلت التجربة بأيوب كان شيخاً، وكذلك كان أصحابه الثلاثة. ولذلك قال لهم أليهو بن برخئيل البوزى، لما بدأ

يتكلم : "أنا صغير في الأيام وأنتم شيوخ، لأجل ذلك خفت وخشيت
أن أبدى لكم رأيي. قلت الأيام تتكلم، وكثرة السنين تظهر حكمة.."
(أى ٣٢ : ٦ ، ٧) .

فلو كان عمر أيوب وقت التجربة ٧٠ أو ٨٠ سنة، فماذا كان
عمره حينما توفي؟ يقول الكتاب إن أيوب بعد التجربة "عاش مائة
وأربعين سنة. ورأى بنيه وبنى بنيه إلى أربعة أجيال" (أى ٤٢ :
١٦). هذا بالإضافة إلى عمره أثناء التجربة (٧٠ أو ٨٠) .

فيكون العمر الذى عاشه أيوب حوالى ٢١٠ عاماً أو أكثر.
وهو أكبر من عمر كل من ابراهيم واسحق ويعقوب! .

لقد عاش ابونا ابراهيم ١٧٥ سنة (تك: ٢٥ : ٧). وعاش ابنه
اسحق ١٨٠ سنة (تك: ٣٥ : ٢٨). وعاش يعقوب ١٣٠ سنة حين قابل
فرعون (تك: ٤٧ : ٩). وعاش بعدها ١٧ سنة، فتكون كل أيام حياته
١٤٧ سنة (تك: ٤٧ : ٢٨). وعاش يوسف ١١٠ سنة (تك: ٥٠ : ٢٥).
أما أيوب فعاش أزيد من ٢١٠ سنة. إذن هو من جيل الآباء الأول
(حتى موسى عاش ١٢٠ سنة) (تث ٣٤ : ٧) ...

٢

تَجْرِبِيَّة

أَيُّوبَ الصِّدِّيقِ

لِمَاذَا كَانَتْ؟

وَكَيْفَ كَانَتْ؟

وَمَا نَتَائِجُهَا؟

السؤال الذى يتبادر إلى أذهان الكثيرين هو: لماذا جرت أويوب؟
لم تكن التجربة المزدوجة التى أحاطت به، بسبب خطية
ارتكبها.. فقد شهد الله نفسه له مرتين إنه "ليس مثله فى الأرض.
رجل كامل ومستقيم، يتقى الله، ويحيد عن الشر" (أى ١: ٨) (أى ٢:
٣).

بل إن الله فى سفر حزقيال النبى، وضع أويوب الصديق ضمن
الثلاثة الكبار الذين لهم قدر كبير فى شفاعتهم، أعنى نوح ودانيال
وأويوب (حز ١٤: ١٤، ١٦).

فإذا كان أويوب رجلاً كاملاً ومستقيماً، فلماذا كل المتاعب التى
أصابته؟ ماذا كانت مشكلته؟

لم تكن له مشكلة. إذن لماذا حدث ما حدث؟

✘ ✘ ✘

المشكلة أنه كان رجلاً باراً، ويعرف عن نفسه أنه بار!

كان يتق فى داخل نفسه أنه بار.. كان يره أمام عينيه فى كل ما

حدث له. وكان بره أمام عينيه في كل ما دار بينه وبين أصحابه الثلاثة من حوار ساخن استمر ٢٨ إصحاحاً، واختتم بهذه العبارة "فكف هؤلاء الرجال الثلاثة عن مجاوبة أيوب، لكونه باراً في عيني نفسه" (أى ٣٢: ١) .

وكان هذا البر الذاتى أيضاً هو سبب العتاب الطويل الذى كان بينه وبين الله، مما سنشرحه بتفصيله ...

ولقد أراد الله أن ينقذه من هذا البر الذاتى . هذه واحدة.



النقطة الثانية هي أن أيوب كان رجلاً عظيماً محترماً من الجميع ...

كانت تحيط به مظاهر الإحترام والتوقير والعظمة من كل ناحية. ويقول عنه الكتاب إنه كان "أعظم كل بنى المشرق" (أى ١: ٣) .

وكان غنياً جداً : "كانت مواشيه سبعة آلاف من الغنم، وثلاثة آلاف جمل، وخمس مائة فدان بقر، وخمس مائة أتان. وكان خدمه كثيرين جداً" (أى ١: ٣) .

وكل هذا يعطينا فكرة أن الغنى لا يتنافى مع البر ..

فمن الممكن أن يكون الإنسان غنياً، وفي نفس الوقت يكون كاملاً ومستقيماً، مثلما كان أيوب .

بالإضافة إلى كل هذا، كان أيوب سعيداً كرب أسرة فقد "وُلد له سبعة بنين وثلاث بنات" (أى ١ : ٢) .



وقد عاش أيوب فى عصر ما قبل أبينا ابراهيم، أبى الآباء والأنبياء، فى العصر الذى كان فيه رب الأسرة هو كاهن الأسرة، يقدم الذبائح عنها. وهكذا قيل عن أيوب - بالنسبة إلى أولاده - إنه "أرسل فقّسهم، وبكر فى الغد، وأصعد محرقات على عددهم كلهم، لأن أيوب قال : ربما أخطأ بنى، وجدفوا على الله فى قلوبهم! هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام" (أى ١ : ٥).

وهنا نلمح نقطة أخرى قد تشير هى أيضاً إلى البر الذاتى!



لماذا يا أيوب تقدم محرقات عن خطايا أولادك، ولا تقدم عن نفسك معهم؟!؟

تقول "ربما أخطأ بنى" .. وأنت ألم تفكر أنك ربما أخطأت فى شئ؟! أم تعرف عن نفسك أنك رجل كامل ومستقيم، تتقى الله وتحيد عن الشر!!



نتابع كلامنا عن عظمة أيوب وغناه ، فنقول أيضاً :
لقد أعطاه الغنى فرصة للإحسان والكرم، فأصبح محاطاً

بمعجبين ومحبين وفقراء كثيرين ينالون الرحمة من يديه ...
كانت الحياة سهلة أمامه، هيئة مبهجة. يعيش في الفردوس،
دون أن يدخل مطلقاً إلى بستان جثسيماتي .. وكأنه ينصب له
خيمة على جبل التجلى!

كان يعيش إلى جوار شجرة الحياة، ولم يتعود على حمل
الصليب بعد. كان من الذين دخلوا إلى ملكوت الله، والباب واسع
والطريق رحب، بدون خطية. ولقد أراد له الله أن يجرب الطريق
الضيق، والصليب والجلجثة .. يجرب الأحران والضيقات، ليأخذ
بركة الضيقات .

لقد أخذ بركة الغنى، فليأخذ إذن بركة الفقر أيضاً ..



عاش في بهجة الحياة زمناً، إلى أن حان موعد التجربة .
وجاء الوقت الذى يواجه فيه الصليب . ولكن كيف ذلك ؟
بدأت تجربته بحسد الشيطان له :

وكذلك حدث لأبينا آدم وأمنا حواء من قبل . حسدهما الشيطان
وعمل على إسقاطهما. وهكذا نقول فى القداس الإلهى "الموت الذى
دخل إلى العالم بحسد ابليس ..". ودائماً يريد الشيطان بنا شراً، ولكن
الله برحمته يحول هذا الشر إلى خير. وهذا نفس ما حدث لأيوب .



أراد الشيطان أن يضره . واستغل الله حسد الشيطان لكي يرفع أيوب إلى درجة أعلى وأسمى . فينجيه وينقيه .

الشيطان أراد أن يؤذي ايوب من جهة، لعل هذا الإيذاء من ناحية أخرى، تكون نتيجته أن يجذف أيوب على الله، ويصبح خاسراً للدنيا والآخرة. أما الله فقد سمح للشيطان أن يجرب أيوب لكي يتمجد أيوب أكثر فأكثر، ويصبح مثلاً يقتدى به (يع ٥: ١١) وتمنحه التجربة شهرة كبيرة، وتقدمه درساً للأجيال، تكون نهايتها بركة مضاعفة له ...



عجيب هو موقف الله من الشيطان في سفر أيوب !

فيه الكثير من تواضع الله ، ومن مبدأ تكافؤ القرص .

سمح الله للشيطان أن يمثل بين يديه، وأن يندس وسط أولاد الله (أى ١: ٦) . بل أكثر من هذا، سمح له أن يكلمه وأن يجادله، وأن يشتكى أمامه ضد ابن عزيز عليه هو أيوب. بل سمح له أن يأخذ منه سلطاناً ضد هذا الرجل الكامل المستقيم، وأن يخرج ليخرّب ويقتل ..!



قال له الله "من أين جئت؟" فأجاب "من الجولان في الأرض ومن التمشى فيها" (أى ١: ٧) . وكان الشيطان في تلك الإجابة يذكر

نصف الحقيقة. فلم يذكر أنه خلال ذلك الجولان في الأرض، كان يضلّ الناس ويسقطهم، ويخرب بيوتاً كثيرة.

فتعرض الله لعمل الشيطان، وأراد أن يظهر له ضعفه، فسأله "هل جعلت قلبك على عبدى أيوب؟ لأنه ليس مثله في الأرض" في كل الأرض التي تتمشى فيها ...



جميل أن الله يفتخر بأولاده ويمتدحهم، ويتحدى الشيطان بهم.
إن كان الشيطان قد أسقط كثيرين، فإن أيوب ليس مثلهم لأنه ليس مثله في الأرض. إنه نوعية أخرى، رجل كامل ومستقيم. فهل رأيت أيها الشيطان هذه التحفة الجميلة التي اسمها أيوب؟ هل جرّبت حيلك معه؟ هل قدرت عليه؟ هل صعدت إلى مستوى محاربتة؟



وقطعاً كان الشيطان قد مرّ عليه وفشل.. ولكنه لكي يخفى خجله من فشله، حاول أن يبرر ذلك بقوله "هل مجاباً يتقى أيوب الله؟" (أى ١ : ٩) .

"أليس أنك سيجت حوله وحول بيته من كل ناحية. باركت أعمال يديه، فانتشرت مواشيه في الأرض. ولكن أبسط يدك الآن ومسّ كل ماله، فإنه في وجهك يجدف عليك" (أى ١ : ١٠، ١١) .

وكان الشيطان يكذب في هذا الإدعاء. فقد كان أبونا آدم معه أكثر مما كان مع أيوب، وسقط. إذن بركة الغنى ليست هي التي تحفظ من السقوط. كما أنها لم تحفظ سليمان بعد ذلك بزمان طويل (جا ٢).



كان الله واثقاً من أيوب وقوة احتمالته، فسمح للشيطان أن يجربه .

وقال للشيطان "هوذا كل ماله في يدك. ولكن إليه لا تمد يدك" .. إنما سماح بشرط، له حدود.. وخرج الشيطان ليعمل في غير رحمة. يضرب بعنف.. لا ضربة واحدة ولا اثنتين ولا ثلاثاً، وإنما بتخريب شامل!! ضربات حاسد حقود.



وظلت الأخبار تتوالى على أيوب قاسية مريرة .

لم يمت له ابن واحد، بل كل الأبناء وكل البنات، مرة واحدة.. ريح شديدة (أثارها الشيطان) .. وصدمت زوايا البيت الأربع، فسقط على الغلمان وماتوا (أى ١ : ١٩). وكل أملاك أيوب ضاعت أيضاً.. البقر والأتن "سقط عليها السبئيون وأخذوها، وضربوا الغلمان بحد السيف. والجمال أخذها الكلدانيون، وضربوا الغلمان بحد السيف. والغنم والرعاة، نزلت نار من السماء وأحرقت الكل

(أى : ١٤ - ١٩). واستطاع الشيطان - لما أخذ إذنًا - أن يفعل كل ذلك ...



ياللهول . حقاً إن الشيطان - وإن كان قد فقد نقاوته - إلا أنه لم يفقد طبيعته كواحد من الملائكة "المقتدرين قوة" (مز ١٠٣ : ٢٠).

ينزل ناراً من السماء، تحرق الغنم والغلمان. ويثير ريحاً شديدة عبر القفر تصدم البيت فيسقط، ويموت كل الذين فيه. ويسخر السبئيين والكلدانيين لتنفيذ مشيئته، فينهبون ما لغيرهم ويقتلون الغلمان. ويخرب كل بيت أيوب. ولو كان أيوب شخصاً عادياً لسقط ميتاً أمام كل هذا..



أما أيوب فقد احتمل كل هذا ولم يجدف على الله، بل قال عبارته المشهورة : "الرب أعطى، الرب أخذ. ليكن اسم الرب مباركاً" (أى : ٢١) .

ما أعمق هذه الروحانية، نتعلمها من أيوب الصديق :
كثيرون يقولون "ليكن اسم الرب مباركاً" عندما يعطيهم الله..
ولكن قليلون هم الذين يباركون اسم الرب، حينما يأخذ الله منهم ما سبق أن أعطاه..!

ولكن أيوب شكر الرب وبارك اسمه، بعد أن أخذ الله منه كل شيء..!



ولم يقل السبئيون أخذوا، ولا الكلدانيون أخذوا، بل الرب أخذ! إنه يتعامل مع الله وحده، لا مع السبئيين ولا مع الكلدانيين. وكل ما يفعله الناس ضده، لا يد قد مرّ على الله ضابط الكل. فإن كان الله قد سمح بأن يأخذوا كل ماله، فليكن اسم الرب مباركاً. إننى لا أملك كل ما معى، إنما أنا مجرد وكيل على ما أعطانيه الله. هو أعطى، وهو أخذ. بحكمة يعطى، وبحكمة يأخذ. أما أنا فماذا أقول .

"عريانا خرجت من بطن أمى، وعريانا أعود إلى هناك"



إن عبارته هذه، هي التي أوحى أبياتا من الشعر قيل فيها :

قد دخلت الكون عريانا فلا	قنية أملك فيه أو غنى
وسامضى عارياً عن كل ما	جمع العقل بجهل واقتنى
عجبا هل بعد هذا نشتهى	مسكناً فى الأرض أو مستوطنا

وهكذا كانت مشاعر أيوب الصديق. وكأنه يقول :

ما كنت أملك شيئاً من كل هذا حينما وُلدت. وسوف أترك كل شيء حينما أغادر هذا العالم عرياناً. الله أودعنى وديعة، ثم سمح أن يأخذ الله وديعته، ليكن اسم الرب مباركاً .

"فى كل هذا لم يخطئ أيوب، ولم ينسب إلى الله جهالة" (أى ١ :
٢٢) ..



ولكن من هول الكارثة يقول الكتاب عن أيوب إنه :
"مزق جبته ، وجزّ شعر رأسه، وخرّ على الأرض وسجد"
(أى ١ : ٢٠) .

"مزق جبته لهذه الكارثة التى تمزق قلب أى إنسان: على الأقل
موت أبنائه السبعة وبناته الثلاث فى يوم واحد. ولكنه سجد على
الأرض إجلالاً للرب الذى أعطى وأخذ.. ولم يقل الكتاب إنه صرخ
أو بكى، أو نعى أولاده..



ولكن قسوة الشيطان لم تقف عند حدّ ولم يكتفِ بهذا !
ولم يخجل من فشله فى محاربته لأيوب البار. وعاد يقف أمام
الله فى غير حياء ويقول له : "جلد بجلد. وكل ما للإنسان يعطيه
لأجل نفسه. ولكن أبسط الآن، ومسّ عظمه ولحمه. فإنه فى وجهك
يجدف عليك" (أى ٢ : ٤ ، ٥) .

قال هذا ردّاً على قول الرب عن أيوب " ..إلى الآن هو متمسك
بكماله، وقد هيجتنى عليه لأبتلعه بلا سبب" .

إن الشيطان لا ييأس فى محاربته . فمهما فشل، يعاود الكرة

مرة أخرى .. والعجيب أن الله أعطاه فرصة أخرى رغم مكابرتة.
وقال له عن أيوب "ها هو في يدك، ولكن احفظ نفسه" (أى ٢ : ٦).
أى : لا مانع من أن تمس جسده. ولكن لا تمس عقله ولا حياته .
نفسه ليست في يدك .

وللمرة الثانية يضع الرب حدوداً للشيطان في عمله .



وخرج الشيطان من لدن الرب، وبكل قسوة "ضرب أيوب بقرح
ردئ من باطن قدمه إلى هامته. فأخذ أيوب لنفسه شقفة ليحتك بها،
وهو جالس في وسط الرماد" (أى ٢ : ٧ ، ٨) .. كانت التجربة قد
بلغت قممتها، ولكنها لم تبلغ نهايتها.

وإذا بزوجته تسخر منه لأنه لا يزال محتفظاً بكماله، وطلبت
إليه أن يجدف على الله ويموت. فأجابها بحكمة وصبر :
"تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات. هل الخير نقبل من عند الله،
والشر لا نقبل؟! (أى ٢ : ١٠). وكلمة الشر هنا تعنى المتاعب
والضيقات. وكلمة الخير تعنى الخيرات..



يقول الكتاب "في كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه" (أى ٢ : ١٠) .
فهل أخطأ بغير شفتيه ؟ بلسانه أظهر كامل التسليم للمشئنة
الإلهية. ولكن ماذا كان في قلبه؟

“ ٤ ”

انفعالات

داخل

نفسية أيوب

قدمت له زوجته اقتراحاً يمس علاقته بالله، فرفضه، ووبخها قائلاً "تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات. هل الخير من الله نقبل، والشر لا نقبل!" (أى ٢: ١٠).

فى هذا الموقف كان أيوب أحكم من جده آدم، فى التعامل مع إمرأته .

آدم خضع لزوجته فى كسر وصية الله . وقال فى تبرير كسره للوصية، "المرأة التى جعلتها معى، هى أعطتني من الشجرة فأكلت" (تك ٣: ١٢). أما أيوب فرفض أن يستمع لإمرأته، بل وقف منها موقف المعلم والمؤدب، وقال لها "تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات"، كإحدى "العذارى الجاهلات" اللاتى وقفن خارج عرش الله (مت ٢٥: ٢، ١١).

أيقول أحد: هل هذه خطية إدانة لأنه وصفها بإحدى الجاهلات؟

كلا. فهذه حقاً إدانة، ولكنها ليست خطية إدانة. لأنه من حقه - بل من واجبه - أن يدينها، باعتباره "رأس المرأة" (١كو ١١: ٣). ولأنها تجاوزت الحدّ بقولها "إلى الآن أنت متمسك بكمالك؟! (إلعن الرب وامت" (أى ٢: ٩) كإحدى الترجمات: Curse God and die .



"فى كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه" (أى ٢: ١٠) .

بشفتيه قال كلاماً حكيماً، يدل على حياة التسليم، وقبول كل ما يفعله الله معه. ولكن هل فى داخله كان كذلك؟ هذا ما سنبحثه معاً..

قال "هل الخير من الله نقبل، والشر لا نقبل؟!". وكلمة الخير كما تعنى الفضيلة، تعنى هنا الخيرات الأرضية، أو نعم الله وإحساناته إليه. كذلك كلمة (الشر) كما تعنى الخطية، تعنى هنا المشائب والضيقات التى حلت به. لهذا قيل عن أصحابه الثلاثة إنهم "لما سمعوا بكل (الشر) الذى أتى عليه، جاءوا .. ليرثوا له ويعزوه" (أى ٢: ١١) .



ولم رآه أصحابه هكذا، ظهر ما فى قلبه من مرارة وسخط .. قيل إن أصحابه "قعدوا معه سبعة أيام وسبع ليالٍ، ولم يكلمه أحد بكلمة، لأنهم رأوا أن كآبته كانت عظيمة جداً" (أى ٢: ١٣).

وقد تبدو الكآبة شيئاً طبيعياً في حالته بعد التجربة الشديدة التي مرت به. وقد قال القديس بولس الرسول عن متاعبه هو وزملائه في الخدمة "مكتئبين في كل شيء، لكن غير متضايقين" (٢كو٤ : ٨). ولكن أيوب كان متضايقاً جداً من الداخل...

كانت التجربة الثانية الخاصة بصحته، قد هزته من الداخل .

✠ ✠ ✠

وهناك فرق ملحوظ بين ردود فعله في التجريبتين :

قال في التجربة الأولى "الرب أعطى، والرب أخذ. فليكن اسم الرب مباركاً" (أى ١ : ٢١). ولكنه لم يقل هكذا بالنسبة إلى صحته في التجربة الثانية. يكفي أنه لم يجدف على الله، ولم يخطئ بشفتيه

✠ ✠ ✠

ولكنه لم يحتمل أن يراه أصحابه وهو "جالس في وسط الرماد، يمسك شقفة ويحتك بها" (أى ٢ : ٨). حتى أنهم لما رأوه "لم يعرفوه، فرفعوا أصواتهم وبكوا. ومزق كل واحد جبته، وذرّوا تراباً فوق رؤوسهم نحو السماء" (أى ٢ : ١٢). وكان موقفاً مؤثراً لنفسيته ..

نعم، هناك من يحتمل المذلة، ولا يحتمل أن يراه الناس ذليلاً! وهكذا أيوب لم يحتمل أن يكون موضع الإشفاق، بعد أن كان موضع التمجيد .

✠ ✠ ✠

بدأ تعب أيوب ، حينما جاءه أصحابه الثلاثة، ورأوه فى مذلتة .
لقد كان محطماً، ولا أحد من معارفه يدرى . فلما جاء أصحابه
يعزونه، عزّ عليه أنه أنكشف أمامهم .. حتى أنهم مزقوا ثيابهم رثاءً
لحالته .

لاشك أن حالته الإجتماعية قد تغيرت إلى العكس تماماً، من
حيث موقف الناس منه، هذا الذى قال عنه فيما بعد "ليتتى كما فى
الشهور السالفة، وكالأيام التى حفظنى الله فيها.. حين كنت اخرج
إلى الباب فى القرية، وأهيبى فى الساحة مجلسى . رأى الغلمان
فاختبأوا، والشيوخ قاموا ووقفوا . العظماء أمسكوا عن الكلام ..
صوت الشرفاء اختفى .." (أى ٢٩ : ٢ - ١٠) .

أما الآن فهو جالس على الرماد، يحتك بشقفة ..



لهذا بعد السبعة أيام لجلوس أصحابه معه، يقول الكتاب :

"بعد هذا فتح أيوب فاه، وسبّ يومه .." (أى ٣ : ١) .

وقال "ليتته هلك اليوم الذى وُلدت فيه، والليل الذى قال: قد حُبِل
برجل . ليكن ذلك اليوم ظلاماً . لا يعتنى به الله من فوق، ولا يشرق
عليه نهار .. لا يفرح بين أيام السنة، ولا يدخلن فى عداد الشهور .."
(أى ٣ : ٣-٦) ..

أخذ أيوب يخرج ما فى نفسه من مرارة ...

فى بادئ الأمر كانت شفتاه مغلفتين على ما فى داخل قلبه من
تعب نفسى. وقد سمح الله لأيوب بمجئ أصحابه إليه ليكشف ما فى
داخله. وإذا بهذا القديس يلعن اليوم الذى وُلد فيه..!

لماذا تلعن يوم ولادتك يا أيوب البار؟! يقول "لأنه لم يغلق
أبواب بطن أمى، ولم يستر الشقاوة عن عيني؟ لمَ لم أمت من
الرحم؟! عندما خرجت من البطن، لمَ لم أسلم الروح..". (أى ٣: ١٠،
١١).



أهذه هى حياة التسليم التى قال عنها لزوجته: هل الخير من الله
نقبل، والشر لا نقبل؟! (أى ٢: ١٠).

لقد كان صليباً ثقيلاً على أيوب. ولكن رحمة الله كانت تريد أن
تخرج من هذا المر شيئاً حلواً.

إن الله لا ينظر إلى الحاضر الذى نحن فيه، بقدر ما ينظر إلى
المستقبل الذى نصل إليه.

إنه ينظر إلى عذابات القديسين فى ضوء أكاليل سيأخذونها فيما
بعد.



نعم، لقد قبل أيوب التجربة، ولكن التجربة سببت له تعباً داخلياً.

فقد يقبل إنسان أن تجرى له عملية جراحية. ولكن هذا لا يمنع من أن تسبب له العملية آلاماً، فيصرخ ويقول آه .

كانت آلامه فوق الاحتمال، جسدياً ونفسياً. فمن ذا الذى يستطيع أن يحدث له كل ذلك: أن يموت كل أبنائه وبناته فى يوم واحد، وأن يخرّب بيته، ويفقد صحته وكرامته، دون سبب يستدعى هذا كله؟!

هل يحدث كل هذا لشخص، ولا يتألم ولا يشكو؟ إنه قد يصبر، ولكن الألم شئ طبيعى، فهل لا يشكو فى كثرة آلامه؟ هل لا يئن؟!

إن الله "يعرف طبيعتنا، يذكر أننا تراب نحن" (مز ١٠٣: ١٤).

لذلك لم يغضب الله من أيوب فى كل ما قال . بل إنه - تبارك اسمه - بعد إنتهاء التجربة، وبخ أصحاب أيوب الثلاثة قائلاً لهم

"..لم تقولوا فى الصواب كعبدى أيوب" (أى ٤٢: ٧) .



هل كانت انفعالات أيوب مركزة فى لعنة يومه؟

كلا طبعاً . بل ظهرت له انفعالات أخرى كثيرة ...

منها حديثه مع أصحابه وتضايقه منهم، ووصفهم بأنهم "أطباء

بطلون" و"معزون متعبون" كما سنشرح فيما بعد ...

كما ظهر ذلك فى عتابه الطويل مع الله ...

وأيضاً فى افتخاره ببره الذاتى ، رداً على ما قد اتهمه به

أصحابه من اتهامات باطلة ، أمكنهم بها أن يثيروه ويخرجوه عن هدوئه ...

لم يذكر الكتاب أخطاء لأيوب قبل التجربة .

أما بعدها ، فالأمر يحتاج إلى كثير من التأمل .

قبل التجربة قال عنه الرب إنه رجل كامل ومستقيم .

أما بعد التجربة ، فماذا قال عنه أليهو الصديق الرابع ؟ (أى

٣٢ - ٣٧) .

وماذا قال عنه الله ؟ (أى ٣٨ - ٤١) .

هذا ما سوف نراه فى آخر هذا الكتاب بمشيئة الرب .

“ ٤ ”

أَصْحَابِ أَيُّوبَ

وَمُلَخِّصِ أخطائهم

أصحاب أيوب

أصحاب أيوب الذين أخطأوا كانوا ثلاثة : أليفاز التيماني، وبلدد الشوحي، وصوفر النعماني. فمن كان هؤلاء؟ وإلى أي عصر ينتمون؟ وإلى أي بلد؟ وما موقع بلادهم؟

١ - أليفاز التيماني :

واضح من اسمه أنه ينتمي إلى تيمان .

ويذكر لنا سفر التكوين أن تيمان هو ابن اليفاز ، وأن اليفاز هو ابن عيسو من زوجته عدا (تك ٣٦ : ١٠ ، ١١) . (أى ١ : ٣٥ ، ٣٦) .

ويبدو أن قبيلة تسمت باسم تيمان، إذ يذكر نفس الاصحاح من

سفر التكوين أن "اليفاز بكر عيسو أمير تيمان" (تك ٣٦ : ١٥) .

وواضح أنه على اسمه (على اسم أليفاز الجد) تسمى اليفاز

التيماني صاحب الأول لأيوب الصديق .

ومكان تيمان - كما يذكر قاموس الكتاب - هو شمالي أدوم
(تك ٣٦ : ١٦) .



٢ - بلاد الشوحى :

ربما ينتسب أيضاً إلى شوح ابن ابينا ابراهيم من زوجته قطورة
(تك ٢٥ : ٢) . ويبدو أن أبناء شوح كونوا قبيلة ينتمى إليها بلاد
الشوحى . وكانت هذه القبيلة قرب أرض عوص (التي منها أيوب
الصديق) .



٣ - صوفر النعمانى :

يذكر سفر العدد أن بنيامين ابن ابينا يعقوب ، كان ابنه الأكبر
(بالع) قد أنجب ابنين اسم أحدهما نعمان . ولنعمان عشيرة
النعمانيين (عد ٢٦ : ٣٨ - ٤٠) .
وقد يكون صوفر النعمانى - أحد أصحاب أيوب - من عشيرة
النعمانيين من نسل بنيامين بن يعقوب .



والخلاصة :

يكون أصحاب أيوب الثلاثة من نسل أبينا ابراهيم .
ولكنهم بلاشك عاشوا قبل عصر موسى وهارون . وذلك لأنهم

ما كانوا ضمن الشعب الإسرائيلى الذى عاصر فرعون مصر. ولا
سكنوا فى أى بلد فى أرض الموعد ...



على أنه قد ظهر صديق رابع، ظل صامتاً طوال الحوار الذى
دار بين أيوب وأصحابه الثلاثة. ولم يتكلم إلا فى اصحاح ٣٢ وما
بعده. ولم يرد عليه أيوب. بل كان الله هو الذى تكلم بعده. إنه
أليهو بن برخئيل البرزى من عشيرة رام. فمن هو هذا الصديق
الرابع؟

٤ - اليهو بن برخئيل البوزى :

معنى اسمه (أليهو) هو الله. ولقبه (البوزى). فمن هو بوز؟
يذكر سفر التكوين أن ابنا ابراهيم كان له أخ اسمه ناحور
(تك ١١ : ٢٧). وأن ناحور كان له ابنان من زوجته ملكة هما
عوص بكره، وبوز أخوه (تك ٢٢ : ٢٠، ٢١). ربما إلى بوز ينتمى
أليهو.

من أرض عوص كان أيوب (أى ١ : ١). وذكر اسم (عوص)
فى موضع آخر، هو عوص ابن آرام بن سام بن نوح (تك ١٠ :
٢٢، ٢٣).

وأرض (عوص) تقع بين دمشق وأدوم فى صحراء سوريا ...

ماذا كان الخطأ الذي وقع فيه أصحاب أيوب الثلاثة؟

أخطاء أصحاب أيوب

أولاً : ظنوا أنهم يتكلمون معه بصراحة، وكان أسلوبهم في تلك (الصراحة) أسلوباً جارحاً مؤلماً. بدأوه بقول أليفاز التيماني لأيوب "إن امتحن أحد كلمة معك، فهل تستاء. ولكن من يستطيع الامتناع عن الكلام؟! (أى ٤ : ٢). أى هل سوف تستاء من صراحتى معك؟! ومع ذلك فأنا لا أستطيع أن أصمت ولا أتكلم معك (بصراحة)!!



ثانياً : اعتقدوا فى صراحتهم أن أيوب قد أخطأ إلى الله، ولذلك عاقبه الله بهذه التجربة!! وكان ذلك اتهاماً ظالماً .

وهكذا قالوا له "أذكر من هلك وهو برئ؟! وأين أبيد المستقيمون كما رأيت أن الحارثين إثما، والزارعين شقاوة، يحصدونها" (أى ٤ :

٧، ٨) .

والمعروف طبعاً أن أيوب لم يخطئ إلى الله، ولم يزرع إثماً ولا شقاوة! بل قال الله عنه إنه ليس مثله في الأرض. رجل كامل ومستقيم. يتقى الله، ويحيد عن الشر" (أى ١ : ٨). وكرر الله هذه الشهادة عنه (أى ٢ : ٣) .



إذن تجربة أيوب لم تكن عقوبة لأيوب على خطية. بل أن الله قال عنه للشيطان بعد التجربة الأولى "وإلى الآن هو متمسك بكماله. وقد هيجتني عليه، لأبتلعه بلا سبب" (أى ٢ : ٣) .

مثال من الإتهامات الكاذبة

حقاً ، ما أكثر الإتهامات الظالمة للأبرار والصديقين في كل متاعبهم ومشاكلهم وأمراضهم، كما لو كانت عقوبة من الله! بينما الكتاب يقول: "كثيرة هي بلايا الصديق، ومن جميعها ينجيها الرب. الرب يحفظ جميع عظامه، وواحدة منها لا تتكسر" (مز ٣٤ : ١٩ ، ٢٠). ونلاحظ أن هذا المزمور كان أيضاً نبوءة عن السيد المسيح في كل ما أصابه من آلام وضيقات ..



ومن أمثلة الاتهامات الكاذبة التي اتهموا بها أيوب :
قول أليفاز التيماني له : "لأنك ارتهنت أخاك بلا سبب، وسلبت

ثياب العراه . ماء لم تسقى للعطشان، وعن الجائع منعت خبزاً" (أى ٢٢ : ٦ ، ٧) . وطبعاً كل هذا افتراء عليه، لأنه كان كريماً شفوفاً على المساكين (أى ٢٩ : ١٦ - ١٩) .

وقال عنه صوفر النعماني "لأنه رخص المساكين وتركهم، واغتصب بيتاً ولم يبنه" "لأنه لم يعرف فى بطنه قناعة" (أى ٢٠ : ١٩ ، ٢٠) .



ثالثاً : أشعروه أيضاً بأنه يجب أن يقبل تأديب الله، وليس له مجال فى استجابة لصلاته أو تشفع بالقدسين .

وهكذا قال له أليفاز التيماني فى قسوة "أدغ الآن، فهل من مجيب؟! وإلى أى القديسين تلتفت؟! "هوذا طوبى لرجل يؤدبه الله، فلا ترفض تأديب القدير" (أى ٥ : ١ ، ١٧) .

كذلك فإن بلاد الشوحى - بدلاً من أن يعزيه فى موت أبنائه - قال له "هل الله يعوج القضاء، أو القدير يعكس الحق؟! إذ أخطأ إليه بنوك، دفعهم إلى يد معصينهم" (أى ٨ : ٣ ، ٤) . فكأنما موت كل الأولاد السبعة والبنات الثلاثة، كان بسبب خطايا كل منهم، وبعدل واستحقاق! ..



رابعاً : أيضاً بلاد الشوحى أراد أن يثبت استحقاق أيوب

للعقوبة، من واقع التاريخ ومن أقوال الآباء :

فقال له "نحن نعلم .. فهلا تعلمونك ويقولون لك" . يقولون :
"هكذا سبل كل الناسين الله، ورجاء الفاجر يخيب.. يستند إلى بيته،
فلا يثبت" "هوذا الله لا يرفض الكامل، ولا يأخذ بيد فاعلي الشر"
(أى ٨ : ٨ - ٢٠).

وكأنه ألصق بأيوب كل هذه الصفات الشريرة، مثل : الفاجر،
والناسين الله، وفاعلي الشر!! أى تأثير لكل هذا على رجل كامل
مستقيم!



خامساً : نرى صوفر نعماتي يطلب إليه التوبة ليرحمه الله!
فيقول له "ليت الله يتكلم ويفتح شفثيه معك.. فتعلم أن الله
يغرمك بأقل من إثمك" (أى ١١ : ٥ ، ٦). ثم يتابع كلامه معه فيقول
"إن أبعدت الإثم الذى فى يدك، ولا يسكن الظلم الذى فى خيمتك،
حينئذ ترفع وجهك بلا عيب، وتكون ثابتاً ولا تخاف.." (أى ١١ :
١٤ ، ١٥).



**سادساً : ما كان مناسباً أن يكلموه بهذا الأسلوب الجارح، وهو
مجرب يقاسى كل الألم المحيط به ..**
ولهذا قال لهم أيوب "قد سمعت كثيراً مثل هذا. معزون متعبون

كلكم.. أنا أستطيع أن أتكلم مثلكم، لو كانت أنفسكم مكان نفسي" (أى ١٦ : ١١ ، ٤). بل قال لهم "ليتكم تصمتون صمتاً، فيكون صمتكم لكم حكمة" (أى ١٣ : ٥). بل ترجاهم قائلاً "حتى متى تعذبون نفسي، وتسحقوننى بالكلام. هذه عشر مرات أخزيتمونى. لم تخلوا من أن تحكرونى.. وهبنى ضللت، على تستقر ضلالتى" (أى ١٩ : ٢ - ٤). بل قال لهم أكثر من هذا :

"تراءفوا. تراءفوا أنتم على يا أصحابى، لأن يد القدير قد مستنى" (أى ١٩ : ٢١).



سابعاً : كانت بعض أقوالهم فيها روح الشماتة :

وهذا لا يتفق مطلقاً مع كونهم أصحابه، ولا يتفق مع شعورهم الأول حين "رنعوا أصواتهم وبكوا. ومزق كل واحد جبته، وذرروا تراباً فوق رؤوسهم" (أى ٣ : ١٢).

ولكنهم عندما دخلوا معه فى حوار ، نرى أسلوبهم قد تغير. فيقول له صوفر النعمانى "..إن الله يغرملك بأقل من إثمك" (أى ١١ : ٦).

ويقول عنه أليفاز التيمانى "لا يأمل الرجوع من الظلمة، وهو مرتقب للسيف" "يسكن مدناً خربة، بيوتاً غير مسكونة عتيدة أن

تصير رجماً" قبل يومه يتوفى، وسعفه لا يخضر" (أى ١٥ : ٢٢ ،
٢٨ ، ٣٢) .



ثمانية عشر أصحاباً كانت مجادلات أصحاب أيوب معه،
واتهامهم له، وردوده عليهم. آثاره كثيراً.
فماذا كانت ردود فعل الإثارة!؟

“ ٥ ”

قِسْوَةٌ

أَصْحَابِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ
وَإِتْرَاهُمَا مَاتَهُمُ الظَّالِمَةُ

أَيُّوبَ يَرِدُ عَلَيْهِمْ، وَيَسْكُو
رَأَةَ نَفْسَهُ وَسَوْءَ حَالَتِهِ

أصحاب أيوب مصممون على أن تجربته هي عقوبة من الله له على خطاياهم. فأكثروا من إتهامه باطلاً. واستطاعوا أن يثيروا أيوب، فأخذ يدافع عن نفسه.. وعبارة أن الله يعاقبه على إثمه، جعلته يعاتب الله، ويسأله ما هي خطيئتي؟!، بل جعلته أيضاً يُبرر نفسه ويتحدث عن فضائله!! وبرز هنا عمل الله في أن يقوده إلى إسحاق القلب .

ولما وصل أيوب إلى هذا الإسحاق، انتهت تجربته، وردّ الله سببه..

هذا هو ملخص تجربة أيوب كلها. فلندخل في التفاصيل .



مسألة حسد الشياطين لأيوب على كماله واستقامته، هذه لم تكن في تفكير أصحاب أيوب. كذلك شهادة الله لم تكن في معرفة أصحاب أيوب.

وعلى الرغم من أنهم فى بدء تجربة أيوب، حزنوا عليه
"ورفعوا أصواتهم وبكوا. ومزق كل واحد جبته، وذرّوا تراباً فوق
رؤوسهم.." (أى ٢ : ١٢) ... إلا أنهم عادوا وتفكروا فى الأمر،
وتأملوا فى التجربة ..

ورأوا أنه لا بد قد أخطأ أيوب إلى الرب، فواجبهم كأصدقاء أن
يصارحوه بذلك، ويقودوه إلى التوبة، حتى يفر الرب له !!
لكن كلامهم كان مثيراً إلى أبعد الحدود، لم يحتمله أيوب .

✱ ✱ ✱

قالوا "من هو الإنسان حتى يزكو، أو مولود المرأة حتى
يتبرر؟" (أى ١٥ : ١٤) .. إن الله يعرف كل شئ "هوذا الله فى علو
السموات .. هل من وراء الضباب يقضى؟" (أى ٢٢ : ١٢، ١٣)
"هوذا قديسوه لا يأتمنهم، والسموات غير طاهرة بعينيه. فبالحرى
مكروه وفاسد الإنسان الشارب الإثم كالماء. الشرير يتلوى كل
أيامه" (أى ١٥ : ١٥ - ٢٠) .

هذا يقوله اليافاز التيمانى. ثم يقول لأيوب "إن رجعت إلى
القدير تُبنى. إن أبعدت ظلماً عن خيمتك.." (أى ٢٢ : ٢٣) .

وينصحه قائلاً "أقبل الشريعة من فيه، وضع كلامه فى قلبك"
(أى ٢٢ : ٢٢) .

✱ ✱ ✱

ويعزف بلدد الشوحي على نفس الوتر فيقول لأيوب "نعم، نور الأشرار ينطفئ، ولا يضيء لهيب ناره. النور يظلم في خيمته، وسراجة ينطفئ" (أى ١٨ : ٥ ، ٦). ويتابع كلامه فيقول عنه كأنسان شرير "نكره يبيد من الأرض، ولا إسم له على وجه البر.. لا نسل له، ولا عقب له بين شعبه. إنما تلك مساكن فاعلى الإثم. وهذا مقام من لا يعرف الله" (أى ١٨ : ١٧ - ٢١) .

فهل كلام كهذا ينطبق على أيوب؟! هل هو من فاعلى الإثم، أو هو إنسان لا يعرف الله؟! وهل يستحق أن يبيد ذكره وإسمه ونسله؟!.. بل أكثر من هذا - حيثما يتحدث أيوب عن مرارة نفسه في تجربته- يقول له بلدد الشوحي "أيها المفترس نفسه في غيظه، هل لأجلك تُخلى الأرض، أو يتزحزح الصخر من مكانه؟" (أى ١٨ : ٤) .



وبنفس القسوة وأسلوب التحطيم، يكلمه صوفر النعماني موبخاً بكلام يشبه الشماتة به في مذلتة ..

فيقول له "أما علمت هذا من القديم، منذ وُضع الإنسان على الأرض: أن هتاف الأشرار من قريب، وفرح الفاجر إلى لحظة؟ ولو بلغ السماوات طوله، ومس رأسه السحاب!.. عين أبصرته، لا

تعود تراه، ومكانه لن يراه بعد.. فخبزه في امعائه يتحول. مرارة
أصلال في بطنه. قد بلع ثروة فيتقيأها. الله يطردها من بطنه. سم
الأصلال يرضع. يقتله لسان الأفعى" (أى ٢٠: ٤ - ١٦) .

ويتابع كلامه الجارح فيقول "تأكله نار لم تتفخ. ترعى البقية في
خيمته. السموات تلعن إثمه، والأرض تنهض عليه. تزول غلة
بيته.. هذا نصيب الإنسان الشرير من عند الله" (أى ٢٠: ٢٧ - ٢٩)

✠ ✠ ✠

ويسألهم أيوب الصديق أى شر فعل؟!

فيقول لهم "إن كنتم بالحق تستكبرون علىّ، فثبتوا علىّ عارى"
(أى ١٩: ٥). ويقول لهم أيضاً "احتملونى وأنا أتكلم، ثم بعد ذلك
استهزأوا" (أى ٢١: ٣) "كيف تعزوننى باطلاً، وأجوبتكم بقيت
خيانة؟!" (أى ٢١: ٣٤).

ويرفع وجهه إلى السموات ويقول "هوذا فى السموات شهيدى،
وشاهدى فى الأعلى. المستهزئون بى هم أصحابى" (أى ١٦: ١٩،
٢٠) "فغروا علىّ أفواههم. لطمونى علىّ كفى تعبيراً. تعانوا علىّ
جميعاً" (أى ١٦: ١٠) .

ويقول لهم علمونى فأنا أسكت. وفهمونى فى أى شئ ضللت؟ ..
وأما التوبيخ منكم، فعلىّ أى شئ يبرهن؟" (أى ٦: ٢٤، ٢٥) .

✠ ✠ ✠

ويعاتبهم أيوب مرة في رقة ، ومرة في عنف ، ويناقشهم .
 ويقول لهم " .. رأيتم ضربة ففزعتم . هل قلت أعطوني شيئاً من
 مالكم ، إرثوا من أجلي؟ أو نجوني من يد الخصم ، أو من يد العتاة
 إقدوني؟" (أى ٦ : ٢١ - ٢٣) "تحفرون حفرة لصاحبكم؟ .. أرجعوا ،
 لا يكونن ظلم" (أى ٦ : ٢٧ ، ٢٩) . "أنا استطيع أن أتكلم مثلكم ، لو
 كانت أنفسكم مكان نفسي . بل كنت أشددكم بفسى ، وتعزية شفتى
 تمسككم" (أى ١٦ : ٤ ، ٥) .



ولما ازدادوا في كلامهم واتهاماتهم له ، كلمهم في شدة وقال :
 "صحيح أنكم أنتم شعب ، ومعكم تموت الحكمة . غير أنه لى فهم
 مثلكم . لست أنا دونكم" (أى ١٢ : ٢ ، ٣) "ما تعرفونه ، عرفته أنا
 أيضاً . لست دونكم . لكنى أريد أن أكلم القدير ، وأن أحاكم إلى الله .
 أما أنتم فملفقوا كذب . أطباء بطالون كلكم" (أى ١٣ : ٢ - ٤) .



ولما سمعهم يهاجمونه باسم الدفاع عن الله وعظمته وعدله ،
 قال لهم إن هذه (محاباة لله) لا يقبلها .

وهكذا قال "اسمعوا الآن حجتى ، واصغروا إلى دعاوى شفتى :
 أتقولون لأجل الله ظلماً ، وتتكلمون بغش لأجله؟! أتحابون وجهه ، أم
 عن الله تخاصمون .. أم تخاتلون كما يختال الإنسان؟! توبيخاً

يوبخكم إن حابيتم الوجوه خفية. فهلا يرهبكم جلاله، ويسقط عليكم رعبه" (أى ١٣ : ٦ - ١١).

ثم يقول لهم "خطبكم أمثال رماد، وحصونكم حصون من طين. اسكتوا عنى فأتكلم، وليصبنى مهما أصاب" (أى ١٣ : ١٢ ، ١٣).



ويرد عليه أليغاز التيماني في كبرياء وشماتة :

فيقول لأيوب "إن فمك يستذنبك لا أنا، وشفقتك تشهدان عليك. ماذا تعرفه، ولا نعرفه نحن؟ وماذا تفهم وليس هو عندنا؟" عندنا الشيخ والأشيب، أكبر أياماً من أبيك" (أى ١٥ : ٦ - ١٠).



أصحاب أيوب لم يفهموا الدالة التي يعاتب بها الله !

فقال له اليفاز التيماني "لماذا يأخذك قلبك؟ ولماذا تختلج عيناك، حتى ترد على الله، وتخرج من فيك أقوالاً؟!" (أى ١٥ : ١٢ ، ١٣).

ويتابع كلامه ضده فيقول "الشرير يتلوى كل أيامه .. لأنه مدّ على الله يده، وعلى القدير تجبر .. فيسكن مدناً خربة" (أى ١٥ : ٢٠ - ٢٨).

"لا يستغنى ولا تثبت ثروته، ولا يمتد في الأرض مقتناه.. لأن السوء يكون أجرته. قبل يومه يتوفى، وسعفه لا يخضر.. ينثر كالزيتون زهره. لأن جماعة الفجار عاقر، والنار تأكل خيام الرشوة.. حبل شقاوة، وولد إثماً" (أى ١٥ : ٢٩ - ٣٥).

أيوب يشكو سوء حاله

قال "ضربتني أثقل من تتهدى" (أى ٢٢ : ٢) "مصيبتى أثقل من
رمل البحر" (أى ٦ : ٢ ، ٣) . ولعل أبلغ ما قاله عن مرضه :
"أنا كمتسوس ييلى، كثوب أكله العث" (أى ١٣ : ٢٨) .
"عظمى قد لصق بجلدى ولحمى" (أى ١٩ : ٢٠) "الآن أنهالت
نفسى علىّ، وأخذتني أيام المذلة. الليل ينخر عظامى فى" (أى ٣٠ :
١٦ ، ١٧) "إذا اضطجعت، أقول متى أقوم؟ الليل يطول، وأشبع قلقاً
حتى الصبح.. لبس لحمى الدود" (أى ٧ : ٤ ، ٥) "روحى تلفت،
أيامى انطفأت. إنما القبور لى.. كلت عيني من الحزن، وأعضائى
كلها كالظل" (أى ١٧ : ١ ، ٧) "إحمرّ وجهى من البكاء، وعلى هدبى
ظل الموت" (أى ١٦ : ١٦) "أهوال الله مصطفة ضدى" (أى ٦ : ٤) .



"ما هى قوتى حتى أنتظر؟! وما هى نهايتى حتى أصبر
نفسى!؟"

هل قوتى قوة الحجارة؟! هل لحمى نحاس!؟" (أى ٦ : ١١ ، ١٢)
ويبدو أنه فقد الأمل فى الشفاء، وانتظر الموت ...

وهكذا قال "إذا مضت سنون قليلة، أسلك فى طريق لا أعود
منها" (أى ١٦ : ٢٢) "رجوت الهاوية بيتاً لى، وفى الظلام مهدت

فراشى. وقلت للقبر أنت أبى، وللدود أنت أمى وأختى" (أى ١٧ :
١٣ ، ١٤) "فأين إذن آمالى؟ آمالى من يعاينها؟ تهبط إلى مغاليق
الهاوية، إذ ترتاح معاً فى التراب" (أى ١٧ : ١٥ ، ١٦). "أذكر أن
حياتى إنما هى ریح. وعينى لا تعود ترى خيراً" (أى ٧ : ٧)
"السحاب يضمحل ويزول. هكذا الذى ينزل إلى الهاوية، لا يصعد.
لا يرجع بعد إلى بيته، ولا يعرفه مكانه بعد" (أى ٧ : ٩ ، ١٠)
"الحجارة تبلّيتها المياه، وتجرف سيولها تراب الأرض . وكذلك أنت
(يا الله) تبيد رجاء الإنسان" (أى ١٤ : ١٩) .

✠ ✠ ✠

وهكذا وجد أيوب من حقه أن يشكو، فقال :

"أنا أيضاً لا أمنع فمى. أتكلم بضيق روحى. أشكو بمرارة
نفسى" (أى ٧ : ١١) "قد كرهت نفسى حياتى. أسيت شكوأى. أتكلم
فى مرارة نفسى..". (أى ١٠ : ١).

"الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً. يخرج كالزهر،
ثم ينحسم ويبرح كالظل ولا يقف" (أى ١٤ : ١ ، ٢) .

✠ ✠ ✠

"أيامى أسرع من عداء. تفر ولا ترى خيراً" (أى ٩ : ٢٥) .

أيوب يعتبر نفسه يتعامل مع الله فى مرضه .

لم يقل إنها ضربة من الشيطان، إنما قال عن الرب "قد طرحنى

في الوحل، فأشبهت التراب والرماد" (أى ٣٠ : ١٩) .
ولذلك صلى إلى الرب وقال في عتاب "الليل أصرخ فما
تستجيب لى. أقوم فما تلتبه إلى. تحولت إلى جاف من نحوى.
بقدره يدك تضطهدنى" (أى ٣٠ : ٢٠ ، ٢١).



كذلك شكى من مشاكله الإجتماعية وبعد الناس عنه .

فقال "قد أبعد عنى أخوتى، ومعارفى زاغوا منى" .

"أقاربنى قد خذلونى، والذين عرفونى نسونى" .

"نزلاء بيتى وإمائى يحسبوننى أجنبياً"

"عبدى دعوت فلم يجب . بفسى تضرعت إليه" .

"نكهتى مكروهة عند امرأتى. وخممت عند أبناء أحشائى"

"الأولاد أيضاً قد رذلونى، إذا قمت يتكلمون على"

"كرهنى كل رجالى. والذين أحببتهم أنقلبوا على"

. (أى ١٩ : ١٣ - ١٩)

لكل هذا ، دخل أيوب فى عتاب مع الله .

ماذا قال فى عتابه هذا؟

“ ٦ ”

أربع جولات

للشيطان ضد أيوب

أيوب يعاتب الله

عقاباً طويلاً شديداً

كان الشيطان يبذل كل جهده لتحطيم أيوب من كل ناحية :
فى التجربة الأولى ، أمكن أن يحطمه مادياً وعائلياً. وفى
التجربة الثانية، أمكن أن يحطمه صحياً. وكان كل ذلك بسمح من
الله (أى ١ ، ٢) . ولكن الشيطان كانت تتعبه جداً عبارة قالها الرب
عن أيوب وهى "إلى الآن هو متمسك بكماه" (أى ٢ : ٣) . فكيف
يمكن إذن زحزحته عن هذا الكمال؟



كانت الجولة الثالثة للشيطان ، هى أن يحطم أيوب إيمانياً .
واستخدم فى ذلك امرأة أيوب، لتنتيه عن إيمانه، وهى متعجبة
كيف هو "متمسك بعد بكماه" (أى ٢ : ٩) . وقطعاً كان الشيطان يتكلم
من فمها.. غير أن أيوب البار صدها وصدّه فى حزم، قائلاً لها
"تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات.." (أى ٢ : ١٠) .
وبدا أن الشيطان قد انهزم فى الجولات الثلاث كلها. ولكنه -
كعادته - لم ييأس، واستمر فى محاربة أيوب ..



وكانت الجولة التالية للشيطان أن يحطم أيوب نفسياً وروحياً.
وأن يستخدم في ذلك أصحاب أيوب من ناحية، وقسوة المرض
وطول مدته من ناحية أخرى ...

وقد شملت هذه الجولة باقى سفر أيوب كله .



فما هي الفكرة الخطيرة التي وضعها الشيطان في أذهان
أصحاب أيوب وزوّدها ببراهين، ونطق بها على ألسنتهم؟.. الفكرة
التي أثار بها الجو كله، وكانت موضع حوار بين أيوب وأصحابه
استمر ٢٨ أصحاحاً، وخرج بها أيوب عن هدوئه ؟

تلك الفكرة الشيطانية ، هي أن التجربة سببها الخطية .



وبالتالى لابد أن يكون أيوب خاطئاً. ولولا ذلك ما كان الله قد
سمح بأن يجرده من أولاده، ومن ماله وممتلكاته كلها، ومن صحته
أيضاً! وكان ذلك يبدو كلاماً منطقياً يتفق مع عدل الله..! وهكذا
كانت كلمة الشيطان على فم أليفاز التيماني، أول المتكلمين من
أصحاب أيوب: "أذكر من هلك وهو بري؟! وأين أبعد المستقيمون؟"
(أى: ٤ : ٧) .

وبالتالى يكون أيوب في كل شقائه، إنما يحصد نتيجة طبيعية لما
زرعه من إثم. وهكذا أكمل أليفاز حديثه قائلاً "كما قد رأيت: أن

الحارثين إثما، والزارعين شقاوة، يحصدونها" (أى ٤ : ٨) .



وكان اتهام أيوب بأنه خاطئ يستحق تأديب الله، أمراً يسعد الشيطان .

يسعده كلون من الشماتة فى أيوب، ولو بطريق الإدعاء! ويسعده أن ذلك ردّ على وصف أيوب بأنه "رجل كامل ومستقيم، يتقى الله ويحيد عن الشر" (أى ١ : ٨)، وأنه "إلى الآن هو متمسك بكماله" (أى ٢ : ٣) . كما أن هذا الإتهام سوف يثير أيوب ويتعبه. وهذا أيضاً يسعد الشيطان، وبخاصة لو كثرت الإتهامات ومست برّ أيوب وسمعته التى يحرص عليها ...

وقد كان . بدأ أصحاب أيوب يكيلون له الإتهامات فى قسوة .



وأحدثت الإتهامات تأثيرها ، وبدأ أيوب يثور ويرد ..

مشكلته أنه قبل الإثارة. تأثر بها، وأخذ يدافع عن نفسه. وكان خيراً له لو أنه صمت، وترك الله يدافع عنه.. نعم، ليته صمت فما أعمق قول سليمان الحكيم "لا تجاوب الجاهل حسب حماقته، لئلا تعدله أنت" (أم ٢٦ : ٤) .

فى بادئ الأمر ، ردّ على أصحابه فى هدوء. ولما زادت إتهاماتهم له بأنه خاطئ، ويحتاج إلى توبة، وسردوا عليه ألواناً من

الإتهامات، حينئذ تار عليهم وقال لهم "أما أنتم فملفقو كذب، أطباء بطالون كلكم. ليتكم تصمتون صمتاً، يكون ذلك لكم حكمة" (أى ١٣: ٤، ٥). إلى أن قال لهم "معزون متعبون كلكم. هل من نهاية لكلام فارغ" (أى ١٦: ٢، ٣).



وكان الشيطان فرحاً جداً بهذا الصراع بين أيوب وأصحابه، يغذيه أحياناً. وكان سعيداً بإثارة أيوب .

ولكن القصة لم تتم فصلاً . هناك ما هو أخطر .

لم يكن سبب الإثارة فقط، أنه خاطئ. بل بالأكثر إن الله ضده، يعاقبه، "ويغرمه بأقل من إثمه" (أى ١١: ٦) .

ويبدو أن أيوب - للعجب الشديد - دخلت الفكرة إلى ذهنه أن الله يقف ضده، وأنه سبب كل متاعبه!! فدخل فى عتاب شديد وطويل مع الله..!



إنها مشكلة جديدة وقع فيها أيوب : أن الله قد جعله خصماً له، وأن الله يستذنبه، لكى يتبرر فيما أوقعه فيه من متاعب!! والظاهر أن تكرار ما سمعه من أفواه أصحابه، جعل هذا الفكر يزحف إلى ذهن أيوب وإلى قلبه ومشاعره، ويعاتب الله عليه ...

كيف حدث ذلك ؟ هذا ما سنشرحه الآن بالتفصيل ..

ربما بسبب إيمانه أن كل شيء من الله ...

سواء كان بإرادة الله ، أو بسماع منه.. لذلك قال قبلاً "هل.. الشر من الله لا نقبل؟! " (أى ٢ : ١٠). إذن هو يؤمن أن كل الشرور (أى المتاعب) التى أصابته هى من الله "وفى كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه" (أى ٢ : ١٠) .

وهكذا فإنه فى التجربة الأولى، لما أخذت منه أملاكه كلها وأولاده، قال "الرب أخذ" (أى ١ : ٢١) .

✱ ✱ ✱

فماذا كان موقفه من الرب الذى أخذ، والشر الذى أصابه؟ يبدو أنه لم يقبل ذلك الشر كما قال ، بل عاتب الرب عليه . أكبر دليل، وأول دليل، أنه بعد الكتابة الشديدة التى حلت عليه، أخذ يسبّ يومه، ويقول "ليت هلك اليوم الذى وُلدت فيه.." (أى ٣ : ٣). ولماذا؟ "لأنه لم يخلق أبواب بطن أمى، ولم يستر الشقاوة عن عيني" (أى ٣ : ١٠). "لأنى ارتعاباً ارتعبت فأتانى، والذى فزعت منه جاء علىّ" "لم أطمئن، ولم أسكن، ولم استرح، وقد جاء الرجز" (أى ٣ : ٢٥ ، ٢٦) .

إذن هو لم يقبل ذلك الشر ، بل اكتأب كتابة عظيمة جداً (أى ٢ : ١٣) . وارتعب، وفزع، ولم يطمئن ولم يسترح!! إنه كما قال الكتاب "لم يخطئ بشفتيه" (أى ٢ : ١٠) . شفتاه لم يصدر منهما

خطأ. أما قلبه فلم يسترح!



وفي عتابه مع الله، نسب إليه كل متاعبه ..

"يرضى الله أن يسحقنى. يطلق يده فيقطعنى" (أى ٦ : ٩) .

"ذاك الذى يسحقنى بالعاصفة، ويكثر جروحي بلا سبب" (أى ٩ :

١٧) .

"لا يدعنى أخذ نفسى، ولكن يشبعنى مرائر" (أى ٩ : ١٨) .

"وقال للرب "كثبت علىّ أموراً مرة، وورثتني آثام صباي"

(أى ١٣ : ٢٦) .

"جعلت رجلىّ فى المقطرة، ولاحظت جميع مسالكى .. وأنا

كمتسوس يبلى، كثوب أكله العث" (أى ١٣ : ٢٧، ٢٨) .



وكان يشعر بشدة ما فعله الله به ، ويشكو ..

ويقول "أزال عنى كرامتى ، ونزع تاج رأسى" (أى ١٩ : ٩) .

"كنت مستريحاً فزعزعنى، ونصبني له غرضاً. شق كليتى ولم

يشفق. سفك مرارتى على الأرض" (أى ١٦ : ١٢، ١٣) .

"أوقفنى مثلاً للشعوب. وصرت للبصق فى الوجه" (أى ١٧ : ٦) .

"هوذا يقتلنى. لا أنتظر شيئاً. فقط أزكى طريقى قدامه" (أى ١٣ :

١٥) . "فى عذاب لا يشفق. أنى لم أجد القدوس" (أى ٦ : ١٠) .

هو أيضاً يطلب من الله أن يكفّ عنه ، يريحه قبل موته .

فيقول له "قد ذبت .. كفّ عني، لأن أيامي نفخة" (أى ٧ : ١٦) .

"حتى متى لا تلتفت عني، ولا ترخيّني ريثما أبلع ريقى؟!"

(أى ٧ : ١٩) .

"أبعد يدك عني، ولا تدع هيبتك ترعبنى" (أى ١٣ : ٢١) .

"إن كان (الإنسان) أيامه محدودة ، وعدد أشهره عندك، وقد

عينت أجله فلا يتجاوزهُ، فاقصر عنه، إلى أن يسرّ كالأجير بانتهاء

يومه" (عب ١٤ : ٥ ، ٦) .

"ليرفع عني عصاه، فلا ييغتنى رعبه" (أى ٩ : ٣٤) .

ويقول لله أيضاً "أليست أيامي قليلة؟ اتركني . كفّ عني فأتلج

قليلاً، قبل أن أذهب فلا أعود" (أى ١٠ : ٢٠) .

✠ ✠ ✠

ويعلن أيوب أن الله يعاديه ، ويخاصمه :

فيقول له "لماذا تحجب وجهك عني، وتحسبني عدواً لك؟!"

(أى ١٣ : ٢٤) .

ويقول "أضرم على غضبه، وحسبني كأعدائه" (أى ١٩ : ١١) .

ويقول أيضاً "فاعلموا إذن أن الله قد عوّجني، ولفّ على

أحبولته . ها أنى أصرخ ظلماً فلا استجاب . أدعو وليس حكم . قد

حوّط طريقى، فلا أعبر . وعلى سبلى ألقى ظلاماً" (أى ١٩ : ٦ - ٨)

ويقول له "لا تستذنبني . فهمني لماذا تخاصمني؟" (أى ١٠ : ٢) .

ويقول "غضبه افترسني . واضطهدني" (أى ١٦ : ٩) .

✠ ✠ ✠

ويقول لله : تستنبنني، وأنت تعلم أني برئ!!

"في علمك أني لست مذنباً، ولا منقذ من يدك!!" (أى ١٠ : ٧) .

"كم لي من الآثام والخطايا؟! علمني ذنبي وخطيتي" (أى ١٣ :

٢٣) .

ويقول لأصحابه "..أريد أن أكلّم القدير، وأن أحاكم إلى الله"

(أى ١٣ : ٣) . ثم يقول لله "أدعُ فأنا أجيب ، أو أتكلم فتجاوبني"

(أى ١٣ : ٢٢) .

"تبحث عن إثمي، وتفتش عن خطيتي" (أى ١٠ : ٦) .

"إن تبررت يحكم عليّ فمي . وإن كنت كاملاً يستذنبني! (أى ٩ :

٢٠) .

"إن قلت أنسي كربتني، واطلق وجهي وأتبلج، أخاف من كل

أوجاعي، عالماً أنك لا تبرئني" (أى ٩ : ٢٧ ، ٢٨) .

"أنا مستذنب، فلماذا أتعب عبثاً؟! ولو اغتسلت في الثلج، ونظفت

يدي بالأشنان، فإنك في النقع تغمسني، حتى تكرهني ثيابي!!"

(أى ٩ : ٢٩ - ٣١) .

"أحسن عندك أن تظلم؟ أن ترذل عمل يديك! وتشرق على مشورة الأشرار" (أى ١٠ : ٣) .



ويقول له : وإن فُرض وأخطأت أليست عندك مغفرة؟

فيقول لله "إن أخطأت تلاحظني، ولا تبرئني من إثمي!"
(أى ١٠ : ١٤) . "إن أذنبت فويل لي. وإن تبررت لا أرفع رأسي"
"إني شبعان هواناً، وناظر مذلتى" (أى ١٠ : ١٥) .

"أخطأت؟ ماذا أفعل لك يا رقيب الناس؟ لماذا جعلتني عاثوراً
لنفسك، حتى أكون على نفسي حملاً؟" (أى ٧ : ٢٠) .

"ولماذا لا تغفر ذنبي، ولا تزيل إثمي؟ لأنى الآن أضطجع فى
التراب. تطلبني فلا أكون" (أى ٧ : ٢١) .

ويقول "كيف يتبرر الإنسان عند الله؟ إن شاء أن يحاجه، لا
يجيبه عن واحد من ألف. هو حكيم القلب وشديد القوة" (أى ٩ : ٢ -
٤) .



ويعاتب الله قائلاً أنك قوى. فماذا أفعل إزاء قوتك وعظمتك؟
"لأنى وإن تبررت، لا أجاب، بل أسترحم ديانى" (أى ٩ : ١٥) .
"هوذا يمرّ على فلا أراه. ويجتاز فلا أشعر به. إذا خطف، فمن
يرده؟ ومن يقول له: ماذا تفعل؟" "الله لا يُرد غضبه. ينحنى تحته

أعوان رهب. فكم بالأقل أنا أجابوه، وأختار كلامي معه!!" (أى ٩ :
١١ - ١٤) .

"إن كان من جهة قوة القوى، يقول هأنذا. وإن كان من جهة
القضاء، يقول : من يحاكمنى؟" (أى ٩ : ١٩) .

"عنده الحكمة والقدرة . له المشورة والفتنة. هوذا يهدم فلا
يبنى. يخلق على إنسان، فلا يفتح. يمنع المياه فتييس. يطلقها فتقلب
الأرض" "يحل مناطق الملوك، ويشد أحقاءهم بوثاق.." (أى ١٢ :
١٣ - ١٨) .

ثم يقول لله "إن ارتفع تصطادنى كأسدا ثم تعود وتتجبر على"
(أى ١٠ : ١٦) .

✠ ✠ ✠

ثم يقول له : من أنا، حتى تطاردنى ؟!

"أترعب ورقة مندفة؟! وتطارد قشاً يابساً؟! (أى ١٣ : ٢٥) .

"ما هو الإنسان حتى تعتبره، وحتى تضع عليه قلبك، وتتعهده
كل صباح وكل لحظة؟!" (أى ٧ : ١٧ ، ١٨) .

"إن قلت إن فراشى يعزىنى ، مضجعى ينزع كربتى، تريعى
بالأحلام، وترهبى بالرؤى" (أى ٧ : ١٣ ، ١٤) .

✠ ✠ ✠

ثم يسأل : لماذا إذن وُلدتُ. ويقول لله : تذكر أنك جبلتنى .

"يداك كونتاني وصنعتاني كلي جميعاً. أفتبتلعتني؟" "أذكر أنك
جبلتني كالطين . افتعيدني إلى التراب؟" (أى ١٠ : ٨ ، ٩) .
"فلماذا أخرجتني من الرحم؟ كنت قد أسلمت الروح، ولم ترني
عين. فكنت كأن لم أكن، فأقاد من الرحم إلى القبر" (أى ١٠ : ١٨ ،
١٩) .



ثم يحتار، إذ ليس مصالح بينه وبين الله .
فيقول عن السيد الرب "فإنه ليس إنساناً مثلي، فأجاوبه، فنأتي
جميعاً إلى المحاكمة. ليس بيننا مصالح، يضع يده على كلينا!!"
(أى ٩ : ٣٢ ، ٣٣) .



كل ذلك يقوله أيوب ، شاعراً أن الله قد اقتحمه، وأنه قد سلمه
إلى أعدائه.

فيقول "يقتحمني اقتحاماً على اقتحام. يعدو على كجبار" (أى ١٦ :
١٤) . ويقول أيضاً "دفعني الله إلى الظالم، وفي أيدي الأشرار
طرحني. أحاطت بي رماته" (أى ١٦ : ١١ ، ١٤) .

ويقول له "خربت كل جماعتي. فبضت على. ووجد شاهد"
(أى ١٦ : ٧ ، ٨) . ولعله يقصد أصحابه الذين شهدوا ضده ...

وفي كل ذلك يبرر أيوب نفسه .

“ ٧ ”

أَيُّوبُ يُبَيِّرُ نَفْسَهُ

أَمَامَ أَصْحَابِهِ

وَأَمَامَ اللَّهِ

وَيَفْتَخِرُ بِمَالِهِ مِنْ

بِرِّهِ وَكَمَالِ وَعَظْمَةِ

التبرير والتبرئة

★ إنها مشكلة تعرض لها سفر أيوب، على فم أيوب وأصحابه :

"كيف يتبرر الإنسان أمام الله" !؟

★ فأليفاز التيماني يؤكد أن الإنسان لا يتبرر، فيقول :

"من هو الإنسان حتى يزكو؟! أو مولود المرأة حتى يتبرر!؟

هوذا قديسون لا يأتmenهم، والسّموات غير طاهرة بعينيه فبالحرى

مكروه وفاسد، الإنسان الشارب الإثم كالماء" (أى ١٥ : ١٤ - ١٦) .

"هوذا عبده لا يأتmenهم، وإلى ملائكته ينسب حماقة" (أى ٤ :

١٨) .

★ وبلدد الشوحى يكرر نفس المعنى تقريباً، فيقول :

"كيف يتبرر الإنسان عند الله!؟ وكيف يزكو مولود المرأة!؟

هوذا نفس القمر لا يضىء، والكواكب غير نقية فى عينيه .

فكم بالحري الإنسان الرمة! وابن آدم الدود" (أى ٢٥ : ٤ - ٦) .

★ وأيوب يسأل نفس السؤال ، فيقول :

"صحيح قد علمت أنه كذا. فكيف يتبرر الإنسان عند الله؟"

(أى ٩ : ٢) .

✱ ✱ ✱

★ ويرى أيوب أنه مستذنب، ولا يبرئه الله .

فيقول : "لأنى وإن تبررت، لا أجاب، بل استرحم ديانى"

(أى ٩ : ١٥) ويقول لله "أخاف من كل أوجاعى، عالماً أنك لا

تبرئنى" (أى ٩ : ٢٨). بل إنه يقول أكثر من هذا "أنا مستذنب، فلماذا

أتعب عبثاً؟" "ولو اغتسلت فى الثلج، ونظفت يديّ بالأشنان، فإنك

فى النقع تغمسنى، حتى تكرهنى ثيابى!" (أى ٩ : ٢٩ ، ٣٠).

✱ ✱ ✱

★ ويعاتب الله الذى يستذنبه ، مع علمه ببراءته .

فيقول له "إن أخطأت تلاحظنى، ولا تبرئنى من إثمى" (أى ١٠ :

١٤) .

"فى علمك أنى لست مذنباً، ولا منقذ من يدك" (أى ١٠ : ٧) .

"معصيتى مختوم عليها فى صرة، وتلفق علىّ فوق إثمى!"

(أى ١٤ : ١٧). ويتجراً فيقول "لا تستذنبنى. فهمنى لماذا تخاصمنى"

(أى ١٠ : ٣) .

"أحسن عندك أن تظلم! أن ترذل عمل يديك!" (أى ١٠ : ٣) .



★ وهو لذلك ، يريد أن يحاكم إلى الله، ويحسن الدعوى أمامه.

فيقول "أريد أن أكرم القدير، وأحاكم إلى الله" "هوذا يقتلنى لا

أنتظر شيئاً، فقط أركى طريقى قدامه" (أى ١٣ : ٣ ، ١٥) .

"من يعطينى أن أجده، فأتى إلى كرسيه"

"أحسن الدعوى أمامه، واملأ فمى حججاً" .

"فأعرف الأقوال التى بها يجيبنى، وأفهم ما يقوله" (أى ٢٣ : ٣ ،

٤) . "هناك كان يحاجه المستقيم، وكنت أنجو إلى الأبد من قاضى"

(أى ٢٣ : ٧) .

"أتكلم فتجاوبنى. كم لى من الأثام والخطايا؟! إعلمنى ذنبى

وخطيئى" (أى ١٣ : ٢٣) .

"إحمرّ وجهى من البكاء، وعلى هدبى ظل الموت. مع أنه لا

ظلم فى يدي، وصلاتى خالصة" (أى ١٦ : ١٦ ، ١٧) .

"هأنذا قد أحسنت الدعوى. أعلم أننى اتبرر" (أى ١٣ : ١٨) .

"كامل أنا لا أبالى. رذلت حياتى" (أى ٩ : ٢١) .

ومع ذلك فإن الله "الكامل والشرير، هو يفنيهما" (أى ٩ : ٢١ ،

٢٢) .

إتهامات وإفتخار

قوبل أيوب الصديق باتهامات مرة وظالمة من أصحابه،
وبخاصة من أليفاز التيماني .

أثارته الإتهامات الكاذبة . وكان رد فعلها هو الافتخار .

★ قال له أليفاز في قسوة وإدعاء كاذب :

"هل على تقواك يوبخاك (الله)؟! أو يدخل معك في المحاكمة
أليس شرك عظيمًا، وآثامك لا نهاية لها؟!"

لأنك ارتهنت أخاك بلا سبب، وسلبت ثياب العراة !

ماءً لم تسقى العطشان، وعن الجوعان منعت خبزاً!

الأرامل أرسلت خاليات، وذراع اليتامى انسحقت !

لأجل ذلك حو اليك فخاخ، ويريعك رعب بغتة"

ثم يدعوهُ إلى التوبة والرجوع إلى الله قائلاً له "إن رجعت إلى

القدير تُبنى. إن أبعدت ظلماً عن خيمتك" (أى ٢٢ : ٤ - ٢٣) .



★ ويقول له وعنه صوفر النعماني :

"أما علمت هذا منذ القديم أن .. فرح الفاجر إلى لحظة، ولو بلغ

السموات طوله، ومس رأسه السحاب..".

"قد بلع ثروة فيتقيأها . الله يطردها من بطنه ..".

"لأنه رضض المساكين وطردهم، واغتصب بيتاً ولم يبنيه..".

"السموات تعلن إثمه، والأرض تنهض عليه".

"تزول غلة بيته، تهرق في يوم غضبه".

"هذا نصيب الإنسان الشرير من عند الله..". (أى ٢٠ : ٤ - ٢٩).



★ لهذا أخذ أيوب يرد عليهم شارحاً كماله وبره .

فيقول "حيّ هو الله .. إنه مادامت نسمتى فى، ونفخة الله فى

أنفى، لن تتكلم شفتاى إثماً، ولا ينطق فمى بغش" (أى ٢٧ : ٣ ، ٤).

"..حتى اسلم روحى، لا أنزع كمالى عنى" (أى ٢٧ : ٥).

"تمسكت ببرى ولا أرخيه. قلبى لا يُعير يوماً من أيامى"

(أى ٢٧ : ٦) . ويقول عن السيد الرب :

"لأنه يعرف طريقى. إذا جربنى أخرج كالذهب" (أى ٢٣ : ١٠).

"بخطواته استمسكت رجلى، حفظت شريعته ولم أحد".

"من وصية شفّتيه لم أبرح. أكثر من فريضتى ذخرت كلام فيه"

"أما هو فوحده، من يرده؟! نفسه تشتهى فيفعل" (أى ٢٣ : ١١ -

. (١٣)



★ انفراد أيوب بالكلام خمسة أصحابات (من ٢٦ إلى ٣١).
وكان أصعب كلامه في الافتخار هو إصحاح ٢٩ وما بعده .

كان جوهر افتخاره مركزاً على عظمته، وعلى بره:

قال "ليتني كما في الشهور السالفة، وكالأيام التي حفظني الله فيها. حين أضاء سراجي على رأسي، وبنوره سلكت الظلمة. كما كنت في أيام خريفي، ورضا الله على خيمتي. والقدير بعدُ معي، وحولي غلماني إذ غسلت خطواتي باللبن، والصخر سكب لي جداول زيت..". (أى ٢٩: ٢-٦) .



هنا يتذكر العظمة القديمة التي فقدها ، وقلبه يشتهيها !

فيقول "حين كنت أخرج إلى الباب في القرية، وأهيب في الساحة مجلسي. رآني الغلمان فاقتبأوا، والشيوخ قاموا ووقفوا" (هنا العظمة التي عاشها. وماذا أيضاً؟) يقول "العظماء أمسكوا عن الكلام، ووضعوا أيديهم على أفواههم. صوت الشرفاء اختفى، ولصقت أسننتهم بأحناكهم" .

[لماذا كل هذه الخشية والمهابة التي أصابت كل هؤلاء

العظماء، حينما ظهرت يا أيوب، وهيأت في الساحة مجلسك؟]

يقول "لأن الأذن سمعت فطوبتني. والعين رأت فشهدت لي"

(أى ٢٩ : ١١) .



[هنا كان الخطر الذى هدد حياة أيوب روحياً] .

الكرامة التى يعيشتها كل يوم، والعظمة التى تحيط به من كل جانب. وأيضاً البر الذى تتميز به حياته، والذى وقف يفتخر به، ويستعرض أعماله الصالحة، ويرد بها على اتهامات أصحابه له، فيقول : "لأنى أنقذت المسكين المستغيث، واليتيم ولا معين له"

"بركة الهالك حلت علىّ، وجعلت قلب الأرملة يسرّ" .

[أى أن الإنسان الذى كان على وشك الهلاك، وأنقذته أنا من الضياع، هذا حلت بركته علىّ، بدعائه لى بالخير..] .. إلى أن يقول :

"لبست البر فكساتى. كجبة وعمامة كان عدلى" (أى ٢٩ : ١٤).



نعم، هذه هى مشكلة أيوب: كان يعرف عن نفسه أنه بار، ثم صار يتحدث عن بره، حينما أثاره أصحابه باتهاماتهم.. وهكذا يتحدث عن نفسه فى تفاصيل أعماله الصالحة، فيقول :

"كنت عيوناً للعمى، وأرجلاً للعرج" .

"أب أنا للفقراء. ودعوى لم أعرفها ، فحصدت عنها" [هنا يتحدث عن وضعه كقاضٍ يفحص الأمور. ويراعى العدل بين الناس].

ويتبع ذلك بقوله : "هشمت أضرار الظالم، ومن بين أسنانه خطفت
الفريسة" (أى ٢٩ : ١٥ - ١٧) .



ثم يتحدث عن أصله وكرامته ، ووضع كملك بين الناس .
فيقول "أصلى كان منبسطاً إلى المياه. والطلّ بات على
أغصاني، أى كان كشجرة امتدت جذورها. حتى وصلت إلى المياه
الباطنية. فلم تعد محتاجة إلى الري والسقيا، لأن أصولها فى المياه،
وأكثر من هذا أيضاً، كان الطلّ (الندى) على أغصانها من فوق..
إلى أن يقول عن وضعه بين الناس:

"كنت أجتاز طريقى، وأجلس رأساً. وأسكن كملك فى جيش،
كمن يعزى النائحين" (أى ٢٩ : ٢٥) .

هذه العظمة ، عظمة من يجلس رأساً وملكاً ، كانت سمة الأيام
السالفة، التى كان فيها رضا القدير على خيمته، والصخر سكب له
جداول زيت . ولكن ماذا عن حالته الآن ؟



قال أيوب عبارة . صدقونى فى أول مرة قرأتها، لم استطع
مطلقاً أن أصدق أنها خرجت من فم أيوب!! قال :

"وأما الآن فقد ضحك على أصاغرى أياماً. الذين كنت استتكف
من أن أجعل آباءهم مع كلاب غنمى!!" (أى ٣٠ : ١) .

إلى هذا الحدّ وصل مفعول العظمة في قلب أيوب؟! يستتكف
من أن يجعل آباءهم مع كلاب غنمه!!
أما الآن - فهو يقول - "وأما الآن فصرت أغنيتهم . وأصبحت
لهم مثلاً" يكرهوننى . يبتعدون عنى ، وأمام وجهى لم يمسكوا عن
البصق" (أى ٣٠ : ٩ ، ١٠) .

"الآن انهالت نفسى علىّ ، وأخذتنى أيام المذلة .. قد طرحنى فى
الوحد ، فأشبهت التراب والرماد" (أى ٣٠ : ١٦ ، ١٩) .
نعم ، شتان بين حالة الكرامة والعظمة ، وحال المذلة والوحد !!



ويعود أيوب إلى التحدث عن أعماله الصالحة .
ويجلب على نفسه اللعنات ، إن كان قد فعل كذا وكذا .
ويشمل هذا كل اصحاب ٣١ من سفر أيوب . وبه تكمل أقواله
مع أصحابه الذين استمعوا إليه صامتين ..

بدأ بقوله "عهداً قطعت لعينى ، فكيف أتطلع فى عذراء؟! "
وقال عن الرب "أليس هو ينظر طرقى ، ويحصى جميع خطواتى"
"ليزنى فى ميزان الذهب ، فيعرف الله كمالى" (أى ٣١ : ٦) .
وهذا تأكيد لما قاله من قبل " لأنه يعرف طريقى : إذا جربنى ،
أخرج كالذهب" (أى ٢٣ : ١٠) . وأيضاً تأكيد لما قاله من قبل عن

كماله: "كامل أنا، لا أبالي" (أى ٩: ٢١). .. لا أنزع كمالى عنى"
(أى ٢٧: ٥). "وإن كنت كاملاً يستذنبنى" (أى ٩: ٢٠).



أما عن استجلاب اللغات على نفسه، إن كان قد فعل كذا وكذا.
فيقول "إن كنت قد سلكت مع الكذب، أو أسرعت رجلى إلى
الغش..". "إن حادت خطواتى عن الطريق" ..

"إن غوى قلبى على امرأة، أو كمنت على باب قريبي..".
"إن كنت رفضت حق عبدى وأمتى فى دعواهما على..".
"إن كنت منعت المساكين عن مرادهم.. أو أكلت لقمتى وحدى،
فما أكل منها اليتيم..". ... فليحدث لى كذا وكذا
"إن كنت قد جعلت الذهب عمدتى، أو قلت للأبريز أنت
متكلى..". ... فليحدث لى كذا وكذا

"إن كنت قد فرحت ببلىة مبغضى، أو شمت حين أصابه سوء..".
"غريب لم بيت فى الخارج. فتحت للمسافر أبوابى".



★ ويختم أيوب افتخاره بأن يتحدى كل من يتهمه ، فيقول :
"من لى بشكوى كتبها خصمى: فكنت أحملها على كتفى. كنت
أعصبها تاجاً لى" (أى ٣١: ٣٥ ، ٣٦).

أمام كل هذا الافتخار والبر الذاتى، سكت أصحاب أيوب ، ولم

يتابعوا الحوار معه بعد . وفي ذلك يقول الوحي الإلهي :
"فكف هؤلاء الرجال الثلاثة عن مجاوبة أيوب، لكونه باراً في
عينيّ نفسه" (أى ٣٢ : ١) .

فما الذى حدث بعد ذلك ؟ وكيف انتهت قصة أيوب وتجربته ؟ .

“ ٨ ”

أَيُّوبَ الْبَارِ
فَنِي عَيَّنِي نَفْسَهُ
وَالْعَظِيمِ بَيْنَ قَوْمِهِ
كَيْفَ أَوْصَلَهُ اللَّهُ إِلَى
الْإِسْحَاقَ، وَأَنْزَلَتْ تَجْرِيته؟

بَارَ فِي عَيْنِي نَفْسَهُ

هكذا قال الوحي الإلهي "فكف هؤلاء الرجال الثلاثة عن مجاوبة أيوب، لكونه باراً في عيني نفسه" (أى ٣٢: ١) .. حقاً إنه من الصعب التحاور مع إنسان يكون باراً في عيني نفسه .

ولم يكن هذا شعور أصحابه الثلاثة فقط، بل إن الصديق الرابع [اليهو] الذى كان صامتاً بينهم، لم يستطع أن يقاوم صمته بعد ما لاحظته من أبر الذاتى لأيوب. وهنا يقول الكتاب :

"فحمى غضب أليهو بن برخئيل البوزى من عشيرة رام. على أيوب حمى غضبه، لأنه حسب نفسه أبر من الله! وعلى أصحابه الثلاثة حمى غضبه، لأنهم لم يجدوا جواباً واستذنبوا أيوب" (أى ٣٢: ٢، ٣) .

فماذا فعل أليهو ؟ وماذا قال ؟

كلام أيهو

اليهو يعلمنا احترام الكبار، ولكن ليس فوق الحق .

كان قد صمت طول مدة الحوار بين أيوب وأصحابه "لأنهم كانوا أكثر منه أياماً" (أى ٣٢ : ٤) ، أى أنهم أكبر منه سناً. ولكن "لما رأى أنه لا جواب فى أفواه الرجال الثلاثة" ، "وليس من حاجج أيوب" حينئذ حمى غضبه" (أى ٣٢ : ٥ ، ١٢) .

فقال لهم "أنا صغير الأيام، وأنتم شيوخ. لأجل ذلك خفت، وخشيت أن أبدى لكم رأيى. قلت الأيام تتكلم، وكثرة السنين تظهر حكمة" (أى ٣٢ : ٦ ، ٧) . فلما لم يظهروا تلك الحكمة، اضطر أن يتكلم .



بيدو أيهو - فى تجربة أيوب - إنساناً ذا هيبة، يكلم أولئك الشيوخ بسُلطان. ولم يجادلهم أحد. كان كمن يمثل الله .
وقد ردّ على أيوب فى كثير من أقواله، ووبخه .
كان أيوب قد قال "أريد أن أحاكم إلى الله" (أى ١٣ : ٣) "وأحسن الدعوى أمامه" (أى ٢٣ : ٤) . وقال لله "لا تدع هيبتك ترهبنى" (أى ١٣ : ٢١) .

فردّ عليه أليهو في مهابته وقال "إن استطعت فأجبنى، وأحسن عوى أمامي. انتصب. هأنذا - حسب قولك - عوضاً عن الله. أيضاً من الطين تقرصت. هوذا هيبتى لا ترهبك، وجلالى لا ن عليك" (أى ٣٣: ٥ - ٧) .

✱ ✱ ✱

وبدأ أليهو يناقش أيوب ، ويرد على كل نقطة. وواجهه :
"قلت أنا برئ بلا ذنب. زكى أنا ولا إثم لى. هوذا يطلب على ل عداوة، يحسبنى عدواً له .. يراقب كل طرقى" "ها أنك فى هذا تصب" (أى ٣٣: ٩ - ١٢) .

وأفحمه بنقطتين : أولاً - إن الله لا يناقش فى أحكامه. إذ قال "لماذا تخاصمه؟ لأن كل أمره لا يجاوب عنها" (أى ٣٣: ١٣) .
النقطة الثانية هى أن الله "يؤدب بالوجع" ليمنع عن الإنسان كبرياء والمجد الباطل. وهكذا قال عن الله: "ليحوّل الإنسان عن مله، ويكتم الكبرياء عن الرجل، ليمنع نفسه عن الحفرة" (أى ٣٣: ١٩ - ١٩) "ليرد نفسه من الحفرة، ليستتير بنور الأحياء" (أى ٣٣: ٣٠) .

✱ ✱ ✱

ومن العبارات الهامة التى نطق بها أليهو، ما ذكره عن الفدية، والقيامة، والإنقاذ من التجربة والموت ...

إنها كلمات عزاء يقولها لأيوب عن عمل الله "يعلن للإنسان استقامته" "يتراءف عليه". ويقول أطلقه من الهبوط إلى الحفرة، قد وجدت فدية" "يصير لحمه أغض من لحم الصبي، ويعود إلى أيام شبابه" "يصلى إلى الله، فيرضى عنه، ويعاين وجهه بهتاف. فيرد على الإنسان برة" (أى ٣٣ : ٢٤ - ٢٦) .

ومن أجمل كلماته المعزية ، قوله لأيوب :

"تكلم ، فإني أريد تبريرك" (أى ٣٣ : ٣٢) .

ويتبعها بقوله "وإلا، استمع أنت لى. أنصت فأعلمك الحكمة" عجيبة هذه العبارة يقولها اليهو فى مهابة لشيخ مثل أيوب! ولكنه كما قلت : كان يمثل الله فى مواجهة أيوب، بل كان يمهد لمخاطبة الله له ...



كيف إذن علمه الحكمة؟ بتوبيخ، وبنصيحة .

أما النصيحة فهى، لكى يرد الله عليه برة: "يغنى بين الناس ويقول: قد أخطأت وعودت المستقيم، ولم أجاز عليه. فدى نفسى من العبور إلى الحفرة" (أى ٣٣ : ٢٦ - ٢٨) .

وأيضاً أيوب لم يحسن التخاطب مع الله، كما شرح أليهو: "هل لله قال : احتملت . لا أعود أفسد. ما لم أبصر، فأرنيه أنت. إن

كنت قد فعلتُ إثماً، فلا أعود أفعله..". (أى ٣٤ : ٣١ ، ٣٢) .



وهكذا فإن أليهو وبخ أيوب ، فقال عنه :

"إن أيوب يتكلم بلا معرفة، وكلامه ليس بتعقل" "أضاف إلى خطيته معصية. يصفق بيننا، ويكثر كلامه على الله" (أى ٣٤ : ٣٥ ، ٣٧) .

"لأن أيوب قال : قد تبررت، ونزع الله حقي.. جرحى عديم الشفاء من دون ذنب" "فأى إنسان كأيوب، يشرب الهزء كالماء؟" (أى ٣٤ : ٥ - ٧) .

ووبخه قائلاً "أتحسب هذا حقاً؟ قلت أنا أبر من الله!" (أى ٣٥ : ٢) . "إن كنت باراً، فماذا أعطيته؟ أو ماذا يأخذه من يدك؟" (أى ٣٥ : ٧) . وختم هذا الجزء من كلامه بقوله "فغر أيوب فاه بالباطل، وكبر الكلام بلا معرفة" (أى ٣٥ : ١٦) .



ودافع أليهو عن عدل الله وعظمته ، فقال :

"حاشا لله من الشر، وللقدير من الظلم. لأنه يجازى الإنسان على فعله..". "فحقاً إن الله لا يفعل سوءاً، والقدير لا يعوج القضاء" (أى ٣٤ : ١٠ - ١٢) . "لا يحابى بوجوه الرؤساء.. لأن عينيه على طرق الإنسان، وهو يرى كل خطواته" (أى ٣٤ : ١٩ ، ٢١) .

"هوذا الله عزيز ، ولكنه لا يرذل أحداً" "لا يحول عينيه عن البار" (أى ٣٦ : ٥ ، ٧) "هوذا الله يتعالى بقدرته. من مثله علماء؟.. أو من يقول له : قد فعلت شراً؟" (أى ٣٦ : ٢٢ ، ٢٣) .



ويختتم أليهو حديثه مع أيوب ، بقوله :

"أنصت إلى هذا يا أيوب، وتأمل بعجائب الله" "القدير لا ندركه، عظيم القوة والحق، وكثير البر. لا يجاوب" (أى ٣٧ : ١٤ ، ٢٣) .
المهم فى كل ما قاله أليهو، أن الله لم يقل عليه إنه جانب الصواب، مثلما قال عن صوفر، وبلدد، وأليفاز...
كان كلامه صواباً. وكان تمهيداً لكلام الله مع أيوب .
وقبل أن نبدأ بما قاله الله لأيوب ، يحسن بنا جداً أن نشرح خطة الله - تبارك اسمه - فى قصة تجربة أيوب، ولماذا سمح بها؟ وماذا كانت حكمته؟

حكمة الله وخطة

كان الله يرى أموراً تحارب أيوب بالبر وبالعظمة .

★ الغنى الواسع الكبير ، الذى كان فيه "أعظم كل بنى المشرق"

(أى ١ : ٣) إذ كان له سبعة آلاف من الغنم، وثلاثة آلاف جمل،

وخمسة مئة فدان بقر، وخمسة مئة أتان. وكان خدمة كثيرين جداً
(أى ١ : ٣) .

★ وكانت له الأسرة الكبيرة: سبعة بنين، وثلاث بنات (أى ١ : ٢)
★ ومن جهة البر، "كان كاملاً ومستقيماً، يتقى الله ويحيد عن
الشر" (أى ١ : ٨) . وكان يحسن إلى الأرمال واليتامى، ويشفق على
الفقراء. كان عيوناً للعمى، وأرجلاً للعرج، وأباً للفقراء (أى ٢٩ :
١٢ - ١٦) .

★ وكل هذا جعله محبوباً جداً من المساكين، ومحترماً جداً من
العظماء، يهابه الكل ويمتدحونه. الأذن سمعت فطوبته، والعين رأت
فشهدت له (أى ٢٩ : ٧ - ١١) .



فى كل هذا ، كان الله يريد انقاذه من العظمة والبر الذاتى .

وكان لابد لتنفيذ ذلك من عملية تجريد واسعة النطاق .

فلما حسد الشيطان أيوب ، سمح له الله بضربه، من أجل خير
أيوب روحياً، لينقذه من العظمة والبر، ويريه أنه من الممكن أن
يخطئ، وأن يثار، وأن يتعب من التجربة، وأن يفتخر ويدافع عن
نفسه ...

ثم بعد ذلك يعيد الله بناءه الروحى، على أساس من الانسحاق



وقد كان : فتم تجريده من كل ما يملك : من البقر والأتن والغنم والجمال، ومن البيت الذي يسكنه. كما جرده أيضاً من بنيه وبناته، ثم جرده أيضاً من احترام الناس له. حتى أن أصدقاءه الذين بكوا أولاً اشفاقاً عليه، عادوا فجرحوه كثيراً واتعبوا نفسيته، واعتبروه خاطئاً يعاقبه الله، ويحتاج إلى توبة. وفي محيط أسرته: أقاربه خذلوه، ومعارفه نسوه. وأصبح يدعو عبده فلا يجيبه، فيتضرع إليه. وأصبحت رائحته مكروهة عند امرأته (أى ١٩) .

أما عن نفسيته في الداخل، فكشف له الله كيف هي ضعيفة تتأثر بالإتهام وتثور وحتى مع الله كيف أنه في عتابه له، يتهم الله بالظلم، وبأنه يستذنبه وهو يعلم ببراءته، ويفتش له على خطية (أى ١٠) .

وكيف أنه يفتخر ويقول : أنا بار . أنا كامل . التهم التي توجه إليّ، أنا أضعها تاجاً فوق رأسي. إذا جرّبني أخرج كالذهب ...

✠ ✠ ✠

حتى أن أصحابه الثلاثة كفوا عن الحوار معه، لأنه بار في عيني نفسه، ولأنه حسب نفسه أبرّ من الله (أى ٣٢ : ١ ، ٢) .
ولدرجة أن اليهود قال عنه "الله يغلبه لا الإنسان" (أى ٣٢ : ١٣) .
فكان لابد من أن يتدخل الله .

تدخل الله

الله الذى بدأ بتجريد أيوب من المال والصحة واحترام الناس،
تدخل أخيراً لكى يجرده من العظمة والبر الذاتى .
لكى ينقيه ويطهره ويعيد إليه كماله ، من جهة .
ولكى يرد سببه ، وينهى هذه التجربة المرة لصالحه .
وأيضاً ليهبه حياة بارة سعيدة مؤسسة على انسحاق القلب .
وهكذا بعد أن انتهى أليهو بن برخئيل البوزى من إعداد الطريق
قدامه، كرسالة يوحنا المعمدان فى أن يهيئ للرب شعباً مستعداً
(فيما بعد) [لو ١ : ١٧] .. أخيراً تكلم الرب من العاصفة، ليرد أيوب
إلى طاقسه.



بدأ الله بإشعار أيوب بضعفه وجهله، وظلمه للتدبير الإلهى .
فقال "من هذا الذى يظلم القضاء بكلام بلا معرفة؟!" (أى ٣٨ :
٢) .. بداية حاسمة، وكأنها الخاتمة.. قطعاً إن الذى لا يدرك حكمة
التدبير الإلهى، إنما يقع فى الظلم، وفى الجهل بمقاصد الله الخيرة..
ثم سخر به الله قائلاً "أشدد الآن حقوك كرجل. اسألك
فتعلمنى!! أين كنت حين أسست الأرض؟ أخبر إن كان عندك فهم!
من وضع قياسها؟ لأنك تعلم!! (أى ٣٨ : ٣ - ٥) .



وظل الله يسأل أيوب أسئلة في الخليقة حتى أعجزه .

وحتى قال أيوب في انسحاق "ها أنا حقير، فماذا أجابوك؟! وضعت يدي على فمي. فمرة تكلمت فلا أجيب، ومرتين فلا أزيد" (أى ٤٠ : ٤ ، ٥) .

واستمر الرب في توبيخ أيوب، وفي مزيد من الأسئلة ، قائلاً له: "الآن أشدد حقوقك كرجل. اسألك فتعلمنى (فتعرفنى)":
"ألعك تناقض حكى؟! تستنبنى لكى تتبرر أنت!!" (أى ٤٠ : ٧ ، ٨) .



وقال له مرة أخرى في سخيرية "تزين الآن بالجلال والعز، والبس المجد والبهاء!! فرق فيض غضبك، وانظر كل متعظم واخفضه. انظر إلى كل متعظم وذلله" (أى ٤٠ : ١٠ - ١٢). وكانت هذه العبارة، تذكر أيوب بأنه كمتعظم، يلزمه أن يخفضه الله ويذله، وكأنه وضع نفسه موضع الله !

وقال له أيضاً في سخيرية "أنا أيضاً أحمدك، لأن يمينك تخلصك!!" (أى ٤٠ : ١٤) .. واستمر في كلامه، إلى أن ذكر من هو "ملك على كل بنى الكبرياء" (أى ٤١ : ٣٤) .



انسحاق أيوب ونهاية التجربة

نجح الله في خطته ، وأوصل أيوب إلى انسحاق القلب من الداخل. وبه كانت التجربة قد وصلت إلى هدفها الروحي، فانتهدت مدتها .

وهكذا "أجاب أيوب الرب فقال : قد علمت أنك تستطيع كل شيء، ولا يعسر عليك شيء.." (أى ٤٢ : ٢) .

"ولكنى قد نطقت بما لم أفهم . بعجائب فوقى لم أعرفها" .

عبارة نطقت بما لم أفهم، اعترف فيها أيوب بأخطائه في كل ما قاله لأصحابه، وما قاله لله، واعتبر أنها خطية جهل. وأنه كان يتكلم كإحدى الجاهلات، كما قال لإمرأته قبلاً (أى ٢ : ١٠) والقياس مع الفارق . وأنه فعلاً "الشر لم يقبل" بل ثار عليه واحتج وحزن وشكا، وتغير عما قاله قبلاً . وكان فى وضع فاقد لحياة الشكر ولحياة التسليم!!

طبعاً هناك فرق بين أيوب الكامل المستقيم قبل التجربة (أى ١ : ٨). وأيوب بعد التجربة الذى قال له أليهو "ها أنك فى هذا لم

تصّب" (أى ٣٣ : ١٢) .



وعبارة "عجائب فوقى لم أدركها" التى قالها فى انسحاقه .
لعلها تعنى أيضاً عجائب الرب فى مقاصده الإلهية، وسماحه
بهذه التجربة لخيرته وتنقيته ومكافأته .. هذه أيضاً لم يدركها ، فتكلم
بما لم يفهم ...

عبارة عجائب لم أعرفها، تقدم لنا مبدأ روحياً هو :
هناك أمور فى حكمة الله، علينا أن نقبلها، وإن كنا لا
نعرفها...

كان أيوب يقول قديماً فى تعجب واستنكار : "هل الخير من الله
نقبل، والشر (أى المتاعب) لا نقبل؟! (أى ٢ : ١٠) . ولكن مشكلته
فى تجربته، أنه انتقل من مبدأ القبول إلى مبدأ الفهم والإدراك .
فأصبح ما لا يدركه ، يتكلم بأقوال ضده . ولكنه فى انسحاقه شعر
بذلك الخطأ . لأن هناك حكمة من الله، قد لا ندركها، هى عجائب
فوق فهمنا، ولكن علينا أن نقبلها ...



وهكذا قال لله بعد ذلك "اسمع الآن وأنا أتكلم . اسألك فتعلمنى" .
هنا لا يقف من الله موقف المحاور والمجادل والمجاوب والمناقش .
وإنما فى اعترافه بجهله، يقف كتلميذ يقول لله "اسألك فتعلمنى" .

لقد تجرد هنا من فهمه ، حسب قول الوحي الإلهي فيما بعد "وعلى فهمك لا تعتمد" (أم ٣ : ٥) .

وكما اعترف بجهله، وبنطقه بما لم يفهم، كذلك وجد واجباً عليه أن يرفض ذاته وأشياء كثيرة فقال :

لذلك أرفض واندم في التراب والرماد" (أى ٢ : ٤ : ٦) .

✱ ✱ ✱

يرفض كل أفكاره أثناء احتجاجه . يرفض ما قاله في تبرير نفسه . يرفض عبارة أنا كامل، وعبارة أنا بار . يرفض ما قاله عن عداوة الله له، واتخاذ خصماً له . يرفض عبارة يستذنبني، وفي علمه أنني بار . يرفض عبارات : يفترسنى . يقتلنى . أهوال الله مصطفة ضدى . يرفض أيضاً كل ما قاله عن عظمته (أى ٢٩ ، ٣٠) ويندم على ذلك . فى التراب والرماد .

حقاً بعد ما عرفته يارب عن عظمتك غير المحدودة، أصبحت فى نظر نفسى - مجرد تراب ورماد .

✱ ✱ ✱

ولما وصل أيوب إلى التراب والرماد ورفض الذات، انتهت تجربته .

بقى عليه قبل أن يرد الله سببه، أن يصلى من أجل أصحابه، أولئك الذين قال عنهم أنهم "معزون متعبون، وأطباء بطالون" ،

وقال عن حديثهم معه "أما من نهاية لكلام فارغ!" .

وأمر الرب اليفاز التيماني وصاحبيه أن يذهبوا إلى أيوب، لكي يصلوا من أجلهم ويشفع فيهم، وإلا يصنع معهم الرب حسب حماقتهم (أى ٤٢ : ٨) قائلاً لهم "لأنكم لم تقولوا فى الصواب كعبدى أيوب".



نلاحظ أن أيوب - لما تاب وندم - لم يذكر له الرب ما وقع فيه من أخطاء بعد التجربة .

كما قال الرب فى سفر ارمياء النبى "أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد" (أر ٣١ : ٣٤). وكما قال فى سفر حزقيال النبى "كل معاصيه التى فعلها لا تُذكر عليه. فى بره الذى عمل يحيا" (حز ١٨ : ٢٢) .



"ورد الرب سبى أيوب ، لما صلت لأجل أصحابه" .

"وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضعفاً" (أى ٤٢ : ١٠) .

"وبارك الرب آخره أيوب أكثر من أولاه". ووهبه الله ضعفاً فى

الغنم والإبل والأتن التى فقدتها (أى ٤٢ : ١٢) (أى ١ : ٣) . ولكنه لم

يعطه ضعفاً فى البنين والبنات، لأنهم لم يفقدوا. هم أحياء "ليس

موت لعبيدك يارب، بل هو انتقال" . وهكذا بقى لأيوب بعد التجربة

سبعة بنين وثلاث بنات، كما كان له من قبل . فيكون الضعف هو عدد ما رزق به بعد التجربة. مع عدد الذين ماتوا ...

أما الميزة والمكافأة ، فهي قول الكتاب "ولم توجد نساء جميلات كبنات أيوب في كل الأرض" (أى ٤٢ : ١٥) .

هل نتجراً ونقول : أعطاه أيضاً ضعفاً فى العمر، إذ عاش بعد التجربة ١٤٠ سنة (أى ٤٢ : ١٦) إذا افترضنا أن عمره كان أثناء التجربة ٧٠ عاماً ...

حقاً كما قال يعقوب الرسول : "قد سمعتم بصبر أيوب، ورأيتم عاقبة الرب. لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف" (يع ٥ : ١١) .



نتعلم من تجربة أيوب ، أن لكل تجربة نهاية .

لا توجد مشاكل أو متاعب فى صعود إلى ما لا نهاية . إنما

المتاعب لها شكل هرمى، يصل إلى قمته ثم ينحدر .

ويعجبني قول أيوب فى عمق تجربته : "قد علمت أن ولىّ حىّ،

والآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جسدى هذا، وبدون

جسدى، أرى الله" (أى ١٩ : ٢٥ ، ٢٦). ولكن سمح الله له أن يراه،

قبل أن يفنى جلده، وقبل خروج روحه من جسده. فقال للرب "بسمع

الأذن سمعت عنك، والآن رأيتك عيني" (أى ٤٢ : ٥) .

كتب الطبائبا

عن شخصيات الكتاب

- ١ - آدم وحواء / قايين وهايل
- ٢ - يعقوب ويوسف .
- ٣ - موسى وفرعون .
- ٤ - يونان النبي .
- ٥ - مارمرقس الرسول .
- ٦ - (هذا الكتاب) أيوب الصديق وتجربته .
- ٧ - (تحت الطبع) : داود النبي

الفهرست

صفحة

- المقدمة ٥
- (١) فى أى عصر عاش أيوب الصديق؟ وما موطنه؟ ٧
- (٢) تجربة أيوب الصديق
- لماذا كانت؟ وكيف كانت؟ وما نتائجها؟ ١٥
- (٣) أنفعالات داخل نفسية أيوب ٢٧
- (٤) اصحاب أيوب وملخص لأخطائهم ٣٥
- (٥) قسوة أصحاب أيوب عليه، واتهاماتهم الظالمة
- أيوب يرد عليهم، ويشكو مرارة نفسه وسوء حالته ٤٥
- (٦) أربع جولات للشيطان ضد أيوب
- أيوب يعاتب الله عتاباً طويلاً شديداً ٥٥
- (٧) أيوب يبرر نفسه أمام أصحابه وأمام الله
- ويفتخر بما له من برّ، وكمال وعظمة! ٦٧
- (٨) أيوب البار فى عينى نفسه والعظيم بين قومه
- كيف أوصله الله إلى الإنسحاق، وأنتهت تجربته؟ ٧٩